ISSN: (3006-8614)
E-ISSN: (3006-8622)
Journal of Alma'rifa for Humanities
available online at: https://uomosul.edu.iq/womeneducation/almarifa/

Fadhlaka According to Abd al-Qahir al-Jurjani in His Book Dalā'il al-Iʿjāz

Younis Salem Ahmed **Ahmed Saleh Dheyab**
University of Mosul/ College of Islamic Sciences
University of Mosul/ College of Education for Humanities

***Corresponding author: E-mail :**
younis-syala@ uomosul.edu.iq
ahmed.s.d@uomosul.edu.iq
0009-0003-0776-1902
0009-0000-8163-2146

***Keywords*:**
Prologue
Rhetoric
Analysis
Texts
Dalāʾil al-Iʿjāz

ARTICLE INFO

Article history:
Received **26. Apr.2025**
Revised **20. May.2025**
Accepted **1. Jun.2025**
Available online **3.Jan.2026**

Email:
almarefaa.ecg@uomosul.edu.iq

ABSTRACT

This research examines the rhetorical technique of fadhlaka in Dalā'il al-Iʿjāz, one of the significant stylistic methods employed by al-Jurjani. In many parts of his book, he follows his discourse with a fadhlaka—a concise summary of what has been previously stated. He emphasizes fadhlaka as an important rhetorical tool, defined as a summation of detailed discourse and its essence. In Arabic rhetoric, fadhlaka is considered a type of itnāb (elaborative expression). The study also aims to highlight the many benefits of fadhlaka, including emphasis, specification, recollection, alertness, and presenting an idea both in detail and in summary—allowing the concept to be grasped from two perspectives. This strengthens and confirms the meaning, making it more pleasing to the soul and easier to memorize and recall, as it encapsulates the expanded meaning into a brief expression. The research adopts an analytical rhetorical methodology through a selective reading of examples from Dalā'il al-Iʿjāz, focusing on interpreting and analyzing their rhetorical and semantic dimensions. ©2026AJHPS, College of Education for women, University of Mosul.

Journal of Alma'rifa for Humanities
Journal of Alma'rifa for Humanities

الفَذْلَكَة عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي في كِتَابِهِ دَلائِلُ الاعْجَاز

يُونُس سَالم أحمَد أحمد صالح ذياب
جامعة الموصل/ كلية العلوم الإسلامية
جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

يتناولُ هذا البحث أسلوب الفَذْلَكَة في كتاب (دَلائِل الاعْجَاز) وهو من الأساليب المُهِمّة الّتي استعملها الجَرْجَانِي، ففي كثير من مواضيع كتابه يعقّب كلامه بفذلكة تكون اختصارًا لما ذكر، فهُو يركّز على الفَذْلَكَة باعتبارها من الأدوات البَلاغِيَّة المُهِمّة، فهو إجمال ما فُصّل من الكلام وخلاصتِه، والفَذْلَكَة في الكلام العربي هي نوع من أنواع الإطناب، كما يهدف البحث إلى بيان فوائد الفَذْلَكَة الكثيرة، ومنها: التّأكيد، والتّخصيص، والتّذكير، والتّنبيه، والعلم بالشّيء جملةً كما عُلم تفصيلا، ليحاط به من جهتين، فإنّ ذلك يفيد في تقوية المَعْنَى وتوكيدِه، وذلك ألذّ للنّفس وأقْوى لحفظها وتذكّرها؛ لأنّ فيها إجمال المَعْنَى في عبارةٍ موجزةٍ بعد بسطه في عبارة طويلة، كما يعتمدُ البحث على المنهج التّحليلي البلاغي من خلال قراءة انتقائيّة لنماذج وردت في كتاب (دَلائِل الاعْجَاز)، مع التّركيز على تفسير وتحليل الأبعاد البَلاغِيَّة والمعنويّة لها، وقد اتّبع الجَرْجَانِي منهجًا عقليًّا تحليليًّا، حيث يبدأ بالسّؤال، ثم يردّ، ويحلّل النّصوص، ويعتمد على الأدلّة من القرآن والشّعر العربي، وكان تأثير الجَرْجَانِي كبيرًا في البلاغيّين من بعده، وتبيّن هذه الدّراسة إنّ قسمًا كبيرًا من جمل الفَذْلَكَة في الكتاب جاءت لتكون إجمالا للمَوضُوع بأكمله، إذ تأتي في نهايته بكلام وجيز جامع لأهمّ ما فيه، ولتوكيدِ أغراضِه ومقاصدهِ من خلال الفَذْلَكَة، وللتّنبيه على أهمّيّتِه، حيث تختزل المَعْنَى الكلّي في عبارة موجزة.

الكلمات المفتاحية: الفَذْلَكَةُ، البلاغةُ، تَحْلِيل، نصُوص، دَلائِلُ الاعْجَاز

المُقدّمة:

من الأساليب المُهِمّة الّتي استعملها الجَرْجَانِيّ في كتابه أسلوب الفَذْلَكَة، ففي كثير من مواضيع الكتاب عندما يشعر أنّ فكرته لم تصل فيما طرح من مادّة علميّة، يعقّب كلامه بفذلكة تكون اختصارًا لما ذكر، وهذا يدلّ على حرصه في إيصال مادّة كتابه للمتلقّي، وأسلوب الفَذْلَكَة يعدُّ من الأدوات البَلاغِيَّة المُهِمّة الّتي يظهر به براعة النّظم وجمال التّراكيب في النّصوص، وإنّ مَفْهُوم الفَذْلَكَة في اللغة يتطابق مع معناها الاصطلاحي، وهو إجمال ما فصّل من الكلام وخلاصتِه، وكلمة الفَذْلَكَة كلمة منحوتة، من قولهم في الحساب: (فذلك كان كذا)، إشارة إلى حاصلِ الحسابِ ونتيجتِه، ثمّ أطلق لفظ الفَذْلَكَة لكلّ ما هو نتيجة متفرّعة على ما سبق من الحسابِ وغيرِه، كقولهم في: البسملة والحمدلة. والفَذْلَكَة هي: إجمال ما فصّل من الكلام وخلاصتِه ونتيجتِه، وهي الإيجازُ

بعد التّفصيل، والفَذْلَكَة في الكلام العربي هي نوع من أنواع الإطناب، ولها فوائد كثيرة، منها: التّأكيدُ، والتّخصِيصُ، وإزالةُ التّوهم، وَالتّذكيرُ، وَالتّنبِيْهُ، وبَيانُ المقصود من الكَلامِ، وتوضيحُهُ، والعلمُ بالشّيء جملةً كما عُلم تفصِيلا، ليُحاط به من جهتين، ومن أسباب ورود الإجمال بعد التّفصيل، أنّ ذلك يفيد في تقويةِ المَعْنَى وتوكيدِه، وَذَلك أَلذّ للنّفس وأقوى لحفظها وَتَذَكّرها؛ لأنّ فيها إجمَال المَعْنَى في عِبَارةٍ مُوجزةٍ بعد بسطه في عبارة طَويلة (شادي، 2013: 17–19، عبدالكريم، 2023: 188–190)، كما تُعدّ البلاغة العَربيّة من أهمّ علوم اللغة الّتي أسهمت في فَهمِ النّصوص الأدبيّة والدّينيّة، وقد برز فيها علماء أفذاذ، من أبرَزهم عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي (ت:471هـ) ، الّذي أسّس نَظَريّات بلاغيّة ما زالت تُدرّس وتُناقش حتّى اليوم، ولم يكن الجَرْجَانِي مُجرّد شارح أو ناقل لما سبقه، بل كان مُنظّرًا ذا رؤية، وقد مهّد له قبل ذلك علماء كبار كالجاحظ، وابن قتيبة، والرّمّاني، والباقلاني، ولكن عَبْد القَاهِر جاء ليبني على تلك المُقدّمات صرحًا مُتماسكًا من الفكر البلاغي، وانطلق من فكرة أنّ المَعْنَى لا يتحقّق إلا من خلال النّظم والسّياق، لا من الكلمات المفردة وحدها، واشتهر بنظريّة النّظم، وهي النّظريّة المركزيّة في فكر الجَرْجَانِي، وأثبت أنّ السّر البلاغي يكمن في التّآلف بين المَعَانِي والألفاظ في نظم خاص، واتّبع الجَرْجَانِي منهجًا عقليًّا تحليليًّا، إذ يبدأ بالسّؤال، ثمّ يردّ الآراء، ويحلّل النّصوص، ويعتمد على الأدلّة من القُرآن والشّعر العربي(بختي، 2019: 19–21، غريب، 1993: 62–67)، ويستعمل أدوات النّحو واللغة لاستنتاج النّتائج البَلاغِيَّة، وهذا المنهج جعله سابقًا لعصره، وأقرب إلى مناهج النّقد الأدبي الحديث، إذ كان يبحثُ في بنية النّصّ وسياقه ووظيفته، وكان تأثير الجَرْجَانِي كبيرًا في البلاغيين من بعده، كالسّكاكي، والتّفتازاني، والخطابي، حتّى إنّ بعض أفكاره بقي مرجعًا أساسيًّا في تدريس البلاغة حتّى العصر الحديث، وقد تبنّى النّقاد العرب المعاصرون كثيرًا من آرائه، بل شبّه بعضهم نظريّته بنظريّات النّقد الغربي مثل البنيويّة، نظراً لاعتماده على تحليل البنية اللغويّة، ويمكن عدُّ الجَرْجَانِي ناقدًا أدبيًّا؛ لأنّه لم يكتفِ بالوصف، بل حلّل وأسّس قواعد نقديّة حقيقيّة لفهم جماليّات النّصوص، وقدّم تفسيرًا أدقّ لطبيعة الجمال الفنّي في القُرآن والشّعر، وهو ما جعله قريبًا من مَفْهُوم النّقد الأدبي بمَفْهُومه الحديث(عبد الرزاق، 2002: 3–6، (عبدالمطلب، 1995: 4–7)، ويُعدّ كتاب (دَلائِل الاعْجَاز) من أعظم ما كُتِبَ في علم البلاغة العربيّة، وهو ثمرة فكر عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي الّذي سعى عن طريقه إلى كشف السّرّ الكامن في بلاغة القُرآن الكَرِيْم وإعجازِه، وجاء تأليف الكتاب في ظل جدل واسع بين علماء الكلام واللغة حول سرّ الإعجاز القُرآنِي، ليتناول عدداً من القضايا المحوريّة، منها: معنى البلاغة والإعجاز، والفرق بين النّظم والتّلفيق، والرّد على بعض معاصريه، وبيان أثر المَعَانِي في صياغة التّراكيب، وبيان علاقة النّحو بالبلاغة(بدوي، د.ت: 111 – 113)، ويمثّل الكتاب في مجمله بيانًا فلسفيًّا للبلاغة العربيّة، وإعادة تعريف لمفاهيم النّظم والمَعْنَى والتّراكيب، ويشدّد الجَرْجَانِي على أنّ المَعْنَى وحده لا يكفي لإنتاج كلام بليغ، بل يجب أن يُقدَّم هذا

المَعْنَى في قالب نحوي ملائم، فمثلاً: التّقديم والتّأخير، والتّعريف والتّنكير، والذّكر والحذف، كلّها ليست مجرّد قواعد نحويّة، بل أدوات بلاغيّة تُوظّف لخدمة المَعْنَى المقصود، وأكّد الجُرْجَانِي أنّ الألفاظ ليست في ذاتها بليغة أو غير بليغة، وإنّما تكتسب البلاغة من السّياق الّذي تُستعمل فيه، ومن علاقتها بما قبلها وما بعدها، فالبلاغة في التّراكيب لا في المفردات، وهذا ما يميّز أسلوب القرآن من غيره، وربط الجُرْجَانِي بين علم النّحو وعلم البلاغة، فأظهر أنّ الإعراب والتّراكيب النّحويّة ليست مجرّد شكل، بل تدخل في إنتاج المَعْنَى، فالتّقديم والتّأخير مثلاً قد يُنتج فرقًا كبيرًا في المَعْنَى البلاغي، وهذا ما يجعل القرآن معجزًا، فكان لكتاب (دَلائِل الاعْجَاز) أثرٌ عميق في الفكر البلاغي العربي والإسلامي، فقد اعتمد عليه البلاغيّون من بعده كالسّكاكي، والتّفتازاني، وابن الأثير(شادي، 2013: 6-7، (نور الدين ، 2007: 9-15)، كما اعترف النّقّاد المحدثون بعمق رؤيته، وعدّوه منطلقًا للبلاغة الوظيفيّة والبنيويّة في العصر الحديث، ويعدّ كتاب (دَلائِل الاعْجَاز) من أمّات الكتب البَلاغِيَّة في التّراث العربي، إذ أسّس فيه نظريّة النّظم وبيّن بها سرّ الإعجاز في القُرآن الكَرِيْم(حامدة، 2012: 53-55، بختي، 2019: 25-27)، ويستعمل الجُرْجَانِي (الفَذْلَكَة) ليجمع بها أطراف الكلام ويربط أجزاءه ربطًا يُظهر المَعْنَى الكلّيّ ويكشف عن ترابط الجملة، بحيث يبدو السّياق وحدة معنويّة واحدة، تترابط فيها الألفاظ والمَعَانِي بتركيب نحويّ دقيق، يؤدّي إلى بلاغة خاصّة، وتُعدّ الفَذْلَكَة جزءًا جوهريًّا في كتاب (دَلائِل الاعْجَاز)، وممّا يفهم من طرح الجُرْجَانِي أنّ الفصاحة ليست تأليف ألفاظٍ فحسب، بل أن تُحكم التّأليف، وتلائم بين المَعَانِي، وتربط بين الأجزاء ربْطًا يُفضي بك إلى الغرض وهذا هو لبّ الفَذْلَكَة يربط المَعَانِي بعضها ببعض بسلاسة وبنية دقيقة، وكان هدف عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي في كتابه عن طريق الفَذْلَكَة بيان الصّلة المعنويّة، ومدى التّرابط والتّماسك الدِّلالي في مادّة كتابه، فالمَوضُوعات عنده مرتبطة بعضها ببعض(بدوي، د.ت: 94-97)، وهذا كان همّه إظهارها إلى دَلائِل الإعْجَاز في القُرآن الكَرِيْم، ونلحظ في بعض مَوضُوعات الكتاب بأنّه كان يبسط الكلام فيها ويفصّلها، وبعد ذلك يأتي بنصّ يفذلك ما ذكر، وعَمدَ الجُرْجَانِي في كتابه على سياسة التّحليل والقراءة العميقة، والحرص على تسليط الضّوء على المواضع الجماليّة في النّصوص(شادي، 2013: 10-11، عبدالكريم، 2023: 189-192)، ونلحظ أنّ قسمًا كبيرًا من جمل الفَذْلَكَة في الكتاب جاء إجمالًا للمَوضُوع بأكمله، إذ تأتي في نهايته بكلام وجيزٍ جامعٍ لأهمّ ما فيه لتوكيدِ أغراضِه ومقاصدهِ من خلال الفَذْلَكَة، وللتّنبيه على أهمّيّتِه، والعمل بِه، ويبرز الجُرْجَانِي أهميّة الفَذْلَكَة في كشف سرّ إعجاز القُرآن الكَرِيْم، ويؤكّد أنّ من بلاغته أنّه لا تجد فيه جملة إلا وهي في موضعها الأنسب، وكلّ آية ترتبط بما قبلها وما بعدها، كأنّ النّص كلّه وحدة متماسكة. كما يرى الجُرْجَانِي أنّ الفَذْلَكَة ليست وسيلة لربط المَعَانِي فحسب، بل هي أداة فنيّة تُظهر جمال النّص؛ لأنّها تعتمد على حسن الانتقال بين المَعَانِي، واختيار التّراكيب المناسبة، والتّوازن بين الجمل، لذلك فهي تُعدّ من الأساليب الجماليّة

العليا في الكلام البليغ، وللفَذْلَكَةِ دور بلاغي حجاجي، إذ إنّها توجّه ذهن القارئ أو السّامع نحو المقصود، وتختزل المَعْنَى الكلّي في عبارة موجزة، وتُسهم في بناء النّصّ الحواري أو الجدلي، ومن خصائص الفَذْلَكَة: الإجمال لما سبق من تفصيل، أو التّقديم لما بعدها، والقُرآن الكَرِيْم كثيرًا ما يستعمل الفَذْلَكَة في المقاطع الجدليّة لإحكام الإقناع وتنظيم الحجّة، ويُشبه مَفْهُوم الفَذْلَكَة عند الجَرْجَانِي ما يُعرف في النّقد الحديث بالتّرابط النّصّي(عبد الرزاق، 2002: 9–13، عبدالمطلب، 1995: 10–14)، والانسجام، أي: إنّ كلّ فقرة أو جملة تتّصل بما قبلها وتنبثق منها، ولا تكون نشازًا، ولهذا عدّ النّقّاد المحدثون أنّ الجَرْجَانِي من أوائل من تناولوا بنية النّصّ كوحدة متكاملة، والغرض الأساسي من الفَذْلَكَة بمختلف أنواعها زيادة توضيح الكلام باختصاره، وبيانِ المقصد منه وتوكيدِه(نور الدين ، 2007: 4–8، حسين، 2012: 9–13)، أما خطّة البَحث فاشتملت على مُقدّمة وثلاثة فصُول: الفَصلُ الأوّل: مَفْهُوم الفَذْلَكَة بوصفها أسلوبًا بلاغيًّا، وفيه مبحثان: المَبحثُ الأوّل: تعريف الفَذْلَكَة لغويًا واصطلاحيًا. والمَبحثُ الثّاني: مَفْهُوم الفَذْلَكَة بوصفها إحدى أدوات التّحليل البلاغي. والفَصلُ الثّاني: تحليل نماذج للفَذْلَكَةِ مع بيان دورها في المَعْنَى، وفيه مبحثان: المَبحثُ الأول: تحليل نماذج من الكتاب. والمَبحثُ الثّاني: بيان دور الفَذْلَكَة في إبراز المَعَانِي البَلاغِيَّة. والفَصلُ الثّالث: الأثر الجمالي والبلاغي للفَذْلَكَةِ، وفيه مبحثان: المَبحثُ الأوّل: مساهمة الفَذْلَكَة في تحقيق الإقناع والجمال في النّصوص. والمَبحثُ الثّاني: أثر الفَذْلَكَة على التّلقّي والفهم، ومن ثمّ الخاتمة.

الفَصلُ الأول: مَفْهُوم الفَذْلَكَة بوصفها أسلوب بلاغي

يُعدّ عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي من أعظم علماء البلاغة والنّقد في التّراث العربي الإسلامي، وقد مثّل كتابه (دَلائِل الاعْجَاز) نقلة نوعيّة في فهم النّصّ القُرآني والبيان العربي، ومن المفاهيم الّتي أثارها وتعمّق فيها، دون أن يجعلها مصطلحًا مستقلًّا دائم التّكرار، مَفْهُوم (الفَذْلَكَة) (شادي، 2013: 13–14)، الّذي يمكننا تتبّعه وتحليله في منظومته البَلاغِيَّة، والفَذْلَكَة في الكلام العربي هي نوع من أنواع الإطناب التّابع لعلم المَعَانِي في البلاغة.

المَبحثُ الأول: تعريف الفَذْلَكَة لغويًا واصطلاحيًا.

الفَذْلَكَة مصدر الفعل فذلك، وهو خلاصة الشّيء، **ولغة:** "فْذلك حسابهُ: أنهاهُ وَفَرغ منه مُخترعةٌ من قَوله إذا أجْمل حِسابهُ: فَذلك كذا وكذا"(الفيرُوز آبادى، 2005: 950)، أي ما يُختصر في نهايته ليجمع نتائجه، وقد وردت الكلمة في المعاجم بمعنى الجمع بين أجزاء متفرّقة لخدمة وحدة كلّيّة، **واصطلاحا:** الفَذْلَكَة: الإجمال بعد التّفصيل، "وذلك بأن يذكر تفاصيله ثمّ يجمل ويكتب في مؤخّره: فذلك كذا وكذا"(الطيبي، 2013: 285/3)، والجَرْجَانِيّ لم يستعمل لفظ (الفَذْلَكَة) كمصطلح مركزي صريح، ولكن معناه يتّضح من نصوصه، فهو يشير إلى الرّبط المحكم بين أجزاء الكلام بحيث يتولّد من هذا الرّبط دلالة كلّيّة تتجاوز المَعَانِي الجزئيّة، ومن ثمَّ فإنّ (الفَذْلَكَة) عند

الجُرْجَانِي ليست مجرد تلخيص، بل عمليّة بلاغيّة عقليّة جماليّة تُبرز وحدة النّصّ وتكامله، وهنا تظهر الفَذْلَكَة بوصفها آليّة مهمّتها جمع أجزاء الكلام بصورة تحقّق غاية النّصّ من جهة، وتُظهر ترابطه واتّساقه من جهة أخرى وبعبارات موجزة. كما تُعنى الفَذْلَكَة بالنّسق التّأليفي وبيان العلاقة بين المقدّمة والنّتيجة، وتوجيه القارئ نحو المَعْنَى المقصود من خلال تسلسل دقيق في البناء، وهي بذلك ليست عنصرًا شكليًّا، بل أسلوبًا في بناء المَعْنَى، ووسيلة لتحقيق الإقناع، والتّأثير، والجمال(بدوي، د.ت: 91)، ومن خلال تتبّع تحليل الجُرْجَانِي للآيات القُرآنِيّة، يتّضح أنّ الفَذْلَكَة كانت من أسرار الإعجاز عنده، كقوله تعالى: {إنّ في خلق السّماوات والأرض... لآيات لأولي الألباب}(آل عمران: 190) ثمّ جاء بعده: {الّذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا...} (آل عمران: 191) هُنا استعملَ القُرآن الفَذْلَكَة لربط الجملتين، فكانت الجملة الثّانية شارحة ومفسّرة، ومبنيّة على الأولى، لتُظهر خصائص {أولي الألباب}، هذا التّتابع هو ما يجعل النّصّ مفصولًا ومتّصلًا في الوقت نفسه، وهو سرّ بلاغي عظيم أشار إليه الجُرْجَانِي مرارًا، وهنا نلحظ علاقة الفَذْلَكَة بالتّماسك النّصّي، فمن أبرز نتائج الجُرْجَانِي في (دَلائِل الاعْجَاز) أنّ الكلام البليغ يجب أن يُبنى بعضه على بعض، ويُفضي أوله إلى آخره، بحيث يكون كالجسد الواحد، وهذا يطابق ما نطلق عليه حديثًا بالانسجام، وهي غاية الفَذْلَكَة، فالفَذْلَكَة عند الجُرْجَانِي تشبه التّماسك النّحويّ، والتّرابط الدّلاليّ، والتّطوّر المنطقي للمعاني(مطلوب، 1973: 5-7، صالح، 2021: 108-110)، والفَذْلَكَة تحقّق جمال النّصّ في التّناسق الدّاخلي، وحسن التّرتيب، والختاميّة المؤثّرة، والإيجاز الجامع، وجملة الفَذْلَكَة هي خلاصة ما سبق، وفيها بيان لما سيأتي، وهي بذلك تعبّر عن مبدأ بلاغي عظيم في بناء المَعْنَى وتوجيه المتلقّي.

المَبحثُ الثاني: مَفْهُوم الفَذْلَكَة بوصفها إحدى أدوات التّحليل البلاغي

تُعدّ البلاغة العربيّة من أعمق أدوات تحليل النّصوص الأدبيّة والقُرآنِيّة في التّراث العربي، وقد كان لعَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي دورٌ رياديّ في تحويل البلاغة من دراسة زخرفيّة للألفاظ إلى علم عميق قائم على المَعْنَى والنّظم، ومن أبرز أدواته في هذا التّحوّل المَفْهُومي، ما نُطلق عليه اليوم (الفَذْلَكَة)، بوصفها آليّة تحليليّة تُمكّن من فهم التّرابط النّصّي، والوحدة الدّلاليّة، والبنية الخطابيّة، وعَبْد القَاهِر لم يُعرّف الفَذْلَكَة كأداة تحليليّة بشكل صريح، لكنّنا نجد عنده إشارات إلى ما يؤسّس هذا المَفْهُوم، ممّا يفهم من كلامه في دَلائِل الاعْجَاز بأنّ الكلام لا يستحسن إلا بأن يكون بعضه مرتبطًا ببعض، وأن يكون الأوّل منه سببًا للثّاني، وأن يُفضي بك إلى ما بعده(غريب، 1993: 71-73)، وهذا عين (الفَذْلَكَة) بالرّبط المحكم الّذي يكشف عن المَعْنَى العام بترتيب الأجزاء، والفَذْلَكَة هي إحدى آليّات نسق التّأليف بين اللفظ والمَعْنَى؛ لأنّها تكشف عن كيفيّة انتظام الألفاظ والمَعَانِي في وحدة بلاغيّة مترابطة مختصرة(أبو موسى، 1998: 72، مطلوب، 1973: 91-93) ، كما نجد أنّ الفَذْلَكَة أداة لبناء الحُجّة، كقوله تعالى: {قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا

يعلمون} ثمّ يأتي: {إنّما يتذكّر أولو الألباب} فهنا تُوظّف الفَذْلَكَة كوسيلة حجاجيّة، تربط بين الاستفهام والنّتيجة، وتدلّ على أنّ البنية الجدليّة في النّص ليست قائمة على السّؤال فحسب، بل على طريقة الانتقال بين وحداته(حامدة، 2012: 34–35)، ويُظهر عَبْد القَاهِر اهتمامًا واضحًا بالإيقاع الأسلوبي للكلام، ويُشير إلى أنّ الفَذْلَكَة لا تقتصر على المَعْنَى، بل تتجلّى كذلك في التّنغيم الصّوتي، والتّوازن التّركيبي، والانتقالات السّلسة، وهذه كلّها عناصر يمكن أن تُدرس اليوم ضمن التّحليل الأسلوبي النّصّيّ، ما يجعل الجَرْجَانِي رائدًا مبكرًا في هذا المجال(حمراني، 2017: 376–379)، كما تشير الفَذْلَكَة في بعض مواضعها إلى الخاتمة البيانيّة التّي يُختتم بها النّصّ بشكل محكم، كما في قوله تعالى: {وما ربك بظلام للعبيد} بعد سياق طويل من العرض، فهنا تكون الفَذْلَكَة وسيلة لإيجاز المَعْنَى الكلّيّ، وترسيخ الحجّة مع جماليّة الإغلاق البلاغي، والفَذْلَكَة عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي أداة من أدوات التّحليل البلاغيّ في (دَلائِل الاعْجَاز)، وهي من أبرز الإسهامات الّتي يمكن تتبّعها في مشروعه البلاغي فهي ليست مَفْهُومًا بلاغيًّا فحسب، بل أداة تحليل بلاغيّة تساعد في الكشف عن وحدة المَعْنَى وتماسك النّصّ، وهو ما يظهر بوضوح في كتابه الخالد (دَلائِل الاعْجَاز) (بختي، 2019: 80–82)، ويشير الجَرْجَانِي إلى أنّ الجمال البلاغي لا يكمن في الجملة المفردة، بل في علاقتها بما سبقها وما لحقها، أي: في بنائها ضمن كُلّ متكامل، وهذه هي وظيفة (الفَذْلَكَة)، كما نلحظ علاقة الفَذْلَكَة ببيان الغرض العامّ للنّصّ، فعَبْد القَاهِر يرى أنّ فهم النّصُوص لا يتحقّق إلا بفهم مقصد المتكلّم، وترتيب المَعَانِي لخدمة ذلك المقصد(حامدة، 2012: 24–25)، وهذا لا يمكن إدراكه إلا من خلال الفَذْلَكَة الّتي تربط بين الأجزاء لتُظهر الغرض البلاغي العامّ، والفَذْلَكَة لها علاقة بتوجيه المَعَانِي، فالجَرْجَانِي يرى أنّ البلاغة لا تظهر في إيراد المَعْنَى فحسب، بل في توجيه المَعْنَى عبر السّياق، والفَذْلَكَة تقوم هنا بوظيفة كشفيّة تُظهر كيف أنّ المَعْنَى ينتقل ويتطوّر ويتعمّق، كقوله تعالى: {إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} ثم: {ختم الله على قلوبهم} فالجَرْجَانِي يرى أنّ ترتيب هذه الآيات ليس عبثيًّا، بل قائم على فذلكة بلاغيّة محكمة، حيث تُرتب الحجج، وتُساق الأدلّة، وتتدرّج المَعَانِي نحو هدف مقصود.

الفَصلُ الثّاني: تحليل نماذج للفَذْلَكَةِ مع بيان دورها في المَعْنَى

يُعدّ كتاب (دَلائِل الاعْجَاز) من أعظم ما أُنتج في البلاغة العربيّة، ويُمثّل نقلة نوعيّة في فهم الإعجاز القُرآنِي من منظور نظري وتحليلي، واعتمد عَبْد القَاهِر في هذا الكتاب على نظريّة النّظم، مؤكّدًا أنّ إعجاز القرآن لا يكمن في الألفاظ المفردة أو المَعَانِي وحدها، بل في طريقة النّظم والتّركيب(شادي، 2013: 20–21)، ومن بين أبرز آليّات التّحليل الّتي تتخلّل هذا العمل، ما يمكن تسميته بالفَذْلَكَة، والّتي تمثّل ربط المَعَانِي والأجزاء في وحدة بلاغيّة متكاملة، من خلال ذكرها بعبارات موجزة ومختصرة لما قبلها، أو التّقديم لما بعدها، وعلى الرّغم من أنّ الجَرْجَانِي لا يستعمل مصطلح (الفَذْلَكَة) حرفيًّا، فإنّ فكره البلاغي يفيض بهذا المَفْهُوم، الّذي يمكن بيانه بأنّه

عمليّة ربط وتحليل الأجزاء النّصيّة للكشف عن الوحدة البَلاغِيَّة والانسجام الدّلالي للنّصّ، ومعظم الفذلكات الّتي رُصِدت في الكتاب ابتدأت بـ(وجملة الأمر ...)، وكأنّه يقول: وفذلكةُ ذلك، أو وخلاصةُ ذلك، والجُرْجَانِي يُركّز على كيفيّة ارتباط الجمل والمَعَانِي، ويُظهر أنّ حسن ترتيب الكلام هو سرّ إعجازه، ويعرض نماذج تُبرز أنّ النّصَّ يُفهم بكامله، لا بجمله المفردة، والبلاغيّون السّابقون ركّزوا على المفردات (البيان، المَعَانِي، البديع)، فالجُرْجَانِي تجاوز ذلك إلى تحليل النّصّ الكامل، والفَذْلَكَة هي أبرز ما يميّز هذا المنهج، فهي تنظر إلى النّصّ كله حيًّا، والجُرْجَانِي يُعلّم القارئ كيف يقرأ النّصّ من الدّاخل(جلال، 1984م: 21-27)، والفَذْلَكَة هي أداة تأويل؛ لأنّها توجّه نحو الغاية من النّصّ، وتساعد على تجاوز الفهم السّطحي إلى فهم بنائي شامل.

المَبحثُ الأوّل: تحليل نماذج من الكتاب

تميّز عَبْد القَاهِر في كتابه (دَلائِل الاعْجَاز) بمنهج تحليلي فريد يتجاوز التّذوّق البلاغي التّقليدي نحو تفكيك النّصوص واكتشاف بنيتها العميقة، وتبرز في هذا المنهج آليّة ضمنيّة تُعدّ من أهمّ أدواته البَلاغِيَّة، وهي ما نُطلق عليه (الفَذْلَكَة) للرّبط بين أجزاء النّص للوصول إلى وحدته البَلاغِيَّة، وفي هذا المَبحثُ سأذكر عددًا من نماذج الفَذْلَكَة كيف ذكرها مع مواضيع كتابه، مبيّنين كيف استعمل الجُرْجَانِي الفَذْلَكَة كوسيلة لشرح الإعجاز القُرآنِي والكشف عن تماسك النّصّ وجماله الخفي، ومن ذلك نذكر فذلكة الخلاصة والنّتيجة الّتي ذكرها عند حديثه عن المدخل في دَلائِل الاعْجَاز بمَوضُوع تعلّق الحرف بالفعل والاسم -في بداية كتابه-، إذ قال: (وأمّا تعلّق الحرف بهما -أي: بالفعل والاسم-، فعلى ثلاثة أضرب: أحدهما -أي الضّرب الأوّل-: أن يتوسّط بين الفعل والاسم، فيكون ذلك في حروف الجرّ الّتي من شأنها أن تُعدّي الأفعال إلى ما لا تتعدّى إليه بأنفسها من الأسماء...) كـ: مررت بزيد . (والضّرب الثّاني: من تعلّق الحرف بما يتعلّق به، (العطف)، وهو أن يدخل الثّاني في عمل العامل في الأوّل، كقولنا: (جاءني زيدٌ وعمروٌ)، .. وكذا في النّصب والجرّ .. والضّرب الثّالث تعلّقٌ بمجموع الجملة،-أي: تعلّق الحرف بمجموع الجملة-، كتعلّق حرف النّفي والاستفهام... -أي تعلّق الحرف في عمليّة الإسناد كاملة-) وبعد هذا الكلام في الضّرب الثّالث نجدهُ يبسطُ الكلام بما يقارب الصّفحة -في حين الضّرب الذي قبله الثّاني تحدث عنه بسطرين ونصف-، وبعد أن أكمل حديثه عن الضّرب الثّالث نجده يأتي بالفَذْلَكَة والاختصار لهذا الضّرب -الثّالث- بقوله: (ومختصرَ كلِّ الأمر -وهُنا الفذلكة معنوية، أي: من تعلّق الحرف بمجموع الجملة- أنه لا يكون كلامٌ من جُزءٍ واحدٍ، وأنّه لابدّ من مُسندٍ ومُسندٍ إليه .. ألا ترى أنّك إذا قلتَ: (كأنَّ) يقتضي مشبّهًا ومشبّهًا به كقولك: (كأنّ زيدًا الأسد)، ومن هذه الفَذْلَكَة نجده يعيد صياغة الكلام عن الضّرب الثّالث بأسلوب مختصر ومجمل، وذلك لأنّه أحفظ في الذّهن بسرعة، ولا دخول للتّفصيلات إلى بعد دخول المجملات، وهذا أسلوب تعليمي معرفي يأتي به عَبْد القَاهِر عندما يستشعر أنّ رسالتَه لم تبلغ . كما نلحظ بعد ذكره لفذلكة الضّرب الثّالث يأتي بفذلكة أخرى-

وهنا الفذلكة معنويّة، إجمال بعد تفصيل– للأضرب الثّلاثة بقوله: (وجملة الأمر أنّه لا يكون كلامٌ من حرفٍ وفعلٍ أصلا، ولا من حرف واسم، إلا في النّداء نحو: (يا عبدَ الله) .. بتقدير الفعل المضمر (أدعو) و(يا) دليلٌ عليه ..) (الجَرْجَانِي، 1992: 6–8)، وهذه طريقته في عرض المعلومات نجدها تدور بين الاقناع والامتاع، فالجملة الأولى تمهيد، والثّانية تقرير، والثّالثة تعليل، وكل جزءٍ يُمهّد لما بعده، ممّا يُنتج بناء حجاجيًّا متماسكًا، والفَذْلَكَة هنا تكمن في الرّبط المنطقي والبلاغي بين ثلاث طبقات من المَعْنَى: الحكم، المساواة، والسّبب (الختم)، فالجَرْجَانِي يُبيّن كيف أنّ هذا التّرتيب يوصل المَعْنَى تدريجيًا، ويوجّه القارئ نحو الغاية.

وكذا نلحظ أسلوب الفَذْلَكَة –المجملة لما فصّل– عندما تحدّث عن مكانة العلم وفضله، بقوله: "وجملةُ الأمر أنَّه لا يَرى النّقصَ يَدْخلُ على صاحبهِ في ذلك إلا من جهةِ نقصِه في علم اللغة، لا يعلم أنّ ههنا دقائق وأسرار طريق العلم بها الرّويّة والفكر، لطائف مُسْتقاها العَقلُ، وخصائصَ معانٍ ينفردُ بها قومٌ قد هُدُوا إليها، ودُلُّوا عليها، وكُشِف لهم عنها، ورُفعتِ الحُجُب بينَهُم وبينَها، وأنّها السَّببُ في أنْ عرضتِ المزيَّةُ في الكلامِ، ووجبَ أن يفضُلَ بعضُه بعضاً، وأن يبعدَ الشّأوُ في ذلك، وتمتدَّ الغايةُ، وَيعلوَ المُرتقَى، ويعزَّ المطلبُ، حتّى ينتهيَ الأمرُ إلى الإعجازِ، وإلى أن يخرج من طوق البشر"(الجَرْجَانِي، 1992: 7)، فهذا النّصّ الّذي اخترته لعَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي غنيّ جدًا من النّاحيتين الجماليّة والبَلاغِيَّة، ويتضمّن فذلكة فكريّة متقنة تُوجّه فهم القارئ نحو غاية بلاغيّة عالية، هي: الإقناع بوجود تفاضل بلاغي بين النّصُوص، وعلّة هذا التّفاضل، وفيما يأتي تحليل للقيمة الجماليّة والبَلاغِيَّة في هذا النّص، مركّزًا على أسلوب الفَذْلَكَة بتحديد موضع الفَذْلَكَة في النصّ، فالفَذْلَكَة هنا تتمثّل في الجملة الختاميّة الطّويلة نسبيًّا، والّتي تبدأ من: (وأنّها السَّببُ فِي أنْ عرضتِ المزيَّةُ في الكلامِ، ووَجبَ أنْ يفضُلَ بعضُه بعضاً، وأن يبعدَ الشّأوُ في ذلك، وتمتدَّ الغايةُ، وَيعلوَ المُرتقَى، ويعزَّ المطلبُ، حتّى ينتهيَ الأمرُ إلى الإعجازِ، وإلى أن يخرج من طَوق البَشر)، فهذه الجملة تمثّل فذلكة فكْريّة وجَماليّة؛ لأنّها تُلخّص المَسار الحجاجي السّابق وتُظهر ذروته ونتيجته(حامدة، 2012: 42)، والقيمة الجماليّة للنّصّ في الإيقاع الدّاخلي والنّسق التّصاعدي حيث تتوالى التّراكيب بشكل متدرّج: (أن يفضُلَ بعضُه بعضًا) ← (أن يبعد الشّأو) ← (تمتدّ الغاية) ← (يعلو المرتقى) ← (يعزّ المطلب) ← (ينتهي إلى الإعجاز)، وهذا التّصاعد الصّوتي والمعنوي يُحدِث نوعًا من التّوتّر البلاغي يتناسب مع شدّة المَعْنَى، ويمنح النّصّ بُعدًا جماليًّا من حيث الموسيقى الدّاخليّة، والانسجام في البناء، وذلك بتناغم تامّ بين الجمل، لا سيما في التّكرار البنيوي لحرف العطف (الواو) والروابط المعنويّة، واستعمال أسلوب التّراكم يُولّد فخامة في العبارة، ويضفي على المَعْنَى ثِقلاً وقيمة، وكثافة الصّور المجازيّة (يعلو المرتقى، ويعزّ المطلب، ويخرج من طوق البشر) ← كلّها صور إيحائيّة تُجسّد المَعَانِي في صور محسوسة، فالقيمة البَلاغِيَّة للنّصّ تأتي من خلال الرّبط بين اللغة والمَعْنَى، فالجَرْجَانِي هنا يُؤسّس لفكرة محوريّة في

(دَلائِل الاعْجَاز)، وهي أنّ الفضل في الكلام لا يعود إلى المفردات، بل إلى (النّظم) أي: ترتيب المَعَانِي وعلاقاتها، والفَذْلَكَة هنا تربط هذا التّصوّر بتجلّياته العليا: التّفاضل ← البلاغة ← الإعجاز، مع إقناع عقلي وروحي، فالنّص يبدأ بتقرير عقلي لا يرى النّقص إلا من جهة نقصه في علم اللغة، وينتهي بغاية روحانيّة عظيمة يخرج من طوقِ البَشر، وهو مسار حجاجي بلاغي بامتياز، يجمع بين البرهان والانفعال، والإشارة إلى النّخبة البَلاغِيَّة بعبارة: (ينفردُ بِها قومٌ قد هُدُوا إليها، ودُلُّوا عليها) تُضفي بعدًا نخبويًّا، وتُوحي بأنّ فهم دقائق النّظم ليس متاحًا للجميع، ممّا يُضفي مهابة على المقام البلاغي، ودور الفَذْلَكَة في النّصّ يؤدّي وظائف بلاغيّة، منها: التّلخيصُ بإعادة تلخيص فكرة التّفاضل في الكلام وعلاقته بدقائقِ اللغة والنّظم(زهران، 1987: 15-19)، والتّصعيد إذ ينتقل من النّقص إلى الفضل، ومن البلاغة إلى الإعجاز، والإقناع بجعل القارئ يقتنع أنّ ما يتحدّث عنه الجَرْجَانِي ليس ترفًا بلاغيًّا، بل علم دقيق لا يُدرك إلا بالتّأمّل، والجمال والتّأثير بمنح النّصّ بعدًا جماليًّا يجعل خاتمته أبلغ من بدايته، ممّا يترك أثرًا ذهنيًّا قويًّا لدى المتلقّي.

كما نجد أسلوب الفَذْلَكَة –المجملة لما فصّل– عندما تحدّث عن الكلام في إعجاز القرآن من التّمهيد ، بقوله: "وجملةُ الأمر أنّك لن تَعْلَم في شيءٍ منَ الصّناعات عِلْماً تُمِرُّ فيه وتُحلْي، حتّى تَكونَ ممّن يَعْرفُ الخطأَ فيها مِن الصَّواب، ويَفْصِلُ بينَ الإساءةِ والإحسان، بل حتّى تُفاضِلَ بينَ الإحسان والإحسان، وتَعْرِفَ طبقاتِ المُحْسنين"(الجَرْجَانِي، 1992: 37)، فهذا النّصّ يُمثّل أنموذجًا دقيقًا لفذلكة فكريّة وأسلوبيّة تؤدّي وظيفة بلاغيّة مزدوجة من خلال الإقناع العقلي والتّأثير الجمالي، ويمكن تحليل القيمة الجماليّة والبَلاغِيَّة لهذا النّصّ على مستويات عدّة فموضع الفَذْلَكَة هنا يظهر بوضوح في الجملة الأخيرة الممتدّة الّتي تبدأ من (حتّى تكون ممّن يعرف الخطأ فيها من الصّواب...) وتتدرّج حتّى (بل حتّى تفاضل بين الإحسان والإحسان، وتعرف طبقات المحسنين)، وهذه الفَذْلَكَة تُختزل فيها خلاصة الفكرة المركزيّة الّتي يريد الجَرْجَانِي غرسها في ذهن المتلقّي أنّ الفهم الدّقيق لإعجاز القرآن لا يتأتّى إلا عبر التّمرّس في تمييز درجات البلاغة، وليس الفرق بين الحسن والقبيح فحسب، كما نجد القيمة الجماليّة للنّصّ(أبو موسى، 1998: 367-370)، فالتّدرّج الأسلوبي والتّصعيد البلاغي في النّصّ يتطوّر من أدنى مراتب التّمييز الخطأ من الصّواب إلى أعلى مراتب الذّوق تفاضل بين الإحسان والإحسان، وهذا التّدرج يُضفي إيقاعًا معنويًّا صاعدًا، يُعبّر عن نموّ الفهم وارتقاء التّذوّق البلاغي، وكذا التّكرار البنيوي الموحِي، فالتّكرار في: (الإساءة والإحسان)، و(الإحسان والإحسان)، و(طبقات المحسنين)، يعزّز جمال التّوازي ويخلق تنغيمًا داخليًّا، فالتّوازي بين الجمل يضفي انسجامًا إيقاعيًّا وسلاسة تركيبيّة، وكذا الصّياغة المجازيّة الدّقيقة، فاستعارة الفهم البلاغي من الصّناعات، بما فيها من تمرين وخبرة، إذ يربط الذّوق البلاغي بالحرفة الفنّيّة، ما يعكس جمال المَعْنَى المبطّن باللفظ(بدوي، د.ت: 95)، كما نجد القيمة البَلاغِيَّة للنّصّ بالتّحفيز على التّمرين الذّوقي لا الاكتفاء النّظري، والجَرْجَانِي هنا يُقنع المتلقّي أنّ معرفة

إعجاز القرآن ليست تلقّيًا سلبيًّا، بل تمرينًا معرفيًّا، يتطلّب (فصلًا) و(تفاضلًا) و(تمييزًا دقيقًا)، وهذه الحجّة قائمة على تشبيه البلاغة بالصّناعة، وهي استعارة عقليّة تسهّل فهم الفكرة المجرّدة، وإنّ ترسيخ مبدأ (تفاضل الحسن) عند الجَرْجَانِي لا يكتفي بتعليم أنّ هناك فرقًا بين الجيد والرّديء، بل يرفع السّقف إلى تمييز الدّرجات داخل (الحسن نفسه)، وهذا يُرسّخ مَفْهُوم الدّقّة البَلاغِيَّة الّتي لا يقف فيها الذّوق عند (الإعجاب)، بل يتحرّك نحو (التّحليل)، وكذا إقناع المتلقّي بمسؤوليّة الفهم(حامدة، 2012: 32–33)، فالفَذْلَكَة هنا تُوجّه القارئ إلى أنّ الحكم على بلاغة القرآن لا يتمّ إلا بالتّدريب المتراكم، وهذه الوظيفة البَلاغِيَّة تشحن النّصّ بقوّة حجاجيّة تجعل المتلقّي يعيد التّفكير في أدواته الذّوقيّة والمعرفيّة، وإنّ دور الفَذْلَكَة في النَّصِّ يكون بتلخيص الفكرة الكبرى، فالفَذْلَكَة هنا تختزل فكرة التّمهيد كلّها، ولا يُدرك الإعجاز إلا من تمرّس في صنعة الكلام، كما نلحظ التّصعيد البلاغي التّدريجي، فالجَرْجَانِي تدرّج من البسيط (التّمييز بين الخطأ والصّواب) إلى المركّب (تمييز مراتب البلاغة)، وهذا فيه إقناع عقلي وجداني، إذ تقنع القارئ بجدّيّة البلاغة بوصفها ميدانًا فنّيًّا له قوانينه، وتثير فيه التّوق للتّعمّق، وفيه جمال نحوي وتراكبي، فالتّناظر في الجمل، والإيقاع الهادئ، والتّوازي، كلّها تصنع للنَّصّ بناءً جماليًّا محكمًا(محمد، 1983: 22–26)، وخلاصة ما سبق إنّ نصّ الجَرْجَانِي هذا يمثّل أنموذجًا من الفَذْلَكَة البَلاغِيَّة الفكريّة الّتي تجمع بين جمال اللغة وعمق الفكرة، ويتدرّج في بناء المَعْنَى من البسيط إلى المركّب، ويصعد في الإقناع من الملاحظة العامّة إلى الدّقيقة، ويختتم بجملة مكثّفة تُلخّص الرّسَالة وتفتح أفقًا للتّأمّل.

وكذا نلحظ أسلوب الفَذْلَكَة عندما تحدّث عن مواضع التّقديم والتّأخير، بقوله: "وجملةُ الأمر أَنّك تَنْحو بالإنكارِ نَحْوَ الفعلِ، فإنْ بدأتَ بالاسمِ فقلتَ: (أأنتَ تَفعل؟، أو قلتَ، أهوَ يفعلُ؟)، كنتَ وجَّهْتَ الإنكارَ إلى نفسِ المذكورِ، وأبيْتَ أن تكونَ بموضعِ أَنْ يجيءَ منه الفعلُ وممّن يجيءُ منه، وأن يكونَ بتلك المثابة"(الجَرْجَانِي، 1992: 117)، فهذا النصّ يتّصل بمنهجه العميق في تحليل النّظم وأثر التّقديم والتّأخير في المَعْنَى والبلاغة(بختي، 2019: 26–29)، ويمكن أن نُفكّك القيمة الجماليّة والبَلاغِيَّة لهذا النّصّ باستحضار أسلوب الفَذْلَكَة فيه، فموقع الفَذْلَكَة في النّص يُختتم بجملة كثيفة ومعقّدة دلاليًّا (وأبيت أن تكون بموضعٍ أن يجيءَ منه الفعلُ وممّن يجيءُ منه، وأن يكون بتلك المثابة)، وهذه الجملة بمثابة فَذلكة فكريّة بلاغيّة؛ لأنّها تُلخّص النّتيجة المنطقيّة لتحليل سابق حول الفروق الدّقيقة في توجيه الإنكار، وتُبرِز الأثر البلاغي لاختيار التّراكيب، ونجد القيمة الجماليّة في النّص عن طريق الإيقاع اللغوي الدّاخلي، فالتّوازي في الجمل (أن يجيءَ منه الفعل)، (وممّن يجيءُ منه)، (أن يكون بتلك المثابة)، يصنع تكرارًا إيقاعيًّا متناغمًا يثبّت المَعْنَى في ذهن القارئ، واستعمال الفعل (يجيءُ) مرّتين يخلق رنينًا لفظيًّا يدعم وقع الفكرة، وكذا جمال الاختزال والتّكثيف، فالجملة الختاميّة كثيفة بالمَعَانِي على الرّغم من قصرها، وهذا من جماليّات الفذلكة كونها تجمع بين الايجاز والاطناب، فهي ايجاز وتكثيف لما عرض سابقا، واطناب لأنّها إجمال بعد

تفصيل، وهذا من أهمّ خصائص الفَذْلَكَة الجماليّة عند الجَرْجَانِي، إذ تُقفل العبارة بكثافة دلاليّة مع إيقاع هادئ، مع توازن صوتي ودلالي، فالتّوازن بين الفعل والفاعل، وبين (أن يجيءَ منه) و(أن يكون بتلك المثابة)، يخلق انسجامًا سمعيًّا وذهنيًّا، والقيمة البَلاغِيَّة في النّص، عند التّحليل الدّقيق للأثر النّحوي البلاغي، فالجَرْجَانِي لا يكتفي بوصف العبارة، بل يشرح كيف أنّ تقديم الاسم يُغيّر من طبيعة الإنكار، ويوجّهه إلى الشّخص لا إلى الفعل، وهذا التّحليل البلاغي يقوم على مبدأ النّظم، أي: كيف يُغيّر ترتيب الكلمات المَعْنَى، وإنّ إقناع القارئ بالفرق البلاغي، باستعماله عبارة (وأبيتَ أن تكون بموضع...) تعني أنّك تنفي الإمكانيّة ذاتها، وليس تنكر الفعل فحسب، وهو فرق دقيق يُقنع القارئ بالعمق البلاغي للنّظم العربي، وهنا الفَذْلَكَة تحقّق الاستنتاج البلاغي، فالجملة الأخيرة هي نتيجة حجاجيّة لكلّ ما قبلها، تؤدّي وظيفة تلخيصيّة واستنتاجيّة مع إبراز البُعد البلاغي في العبارة(حامدة، 2012: 42–43)، وهذا من صميم وظيفة الفَذْلَكَة في نظر الجَرْجَانِي، ودور الفَذْلَكَة في النصّ يكون بتوجيه الإدراك البلاغي نحو النّتيجة الدّقيقة، وهذا يُعطي خاتمة فكريّة للشّرح السّابق بطريقة موجزة ومركّزة، ويُظهر أنّ تغيير بنية الجملة ليس مجرّد تبديل لفظي، بل يُغيّر بنية المَعْنَى والإنكار نفسه، وتمنح النّصّ شكلًا دائريًّا متكاملًا: من طرح → تحليل → استنتاج (الفَذْلَكَة)، وخلاصة ما ذكرنا أنّ الفَذْلَكَة في هذا النصّ تُجسّد قدرة الجَرْجَانِي على دمج الدّقّة التّحليليّة مع الجمال الأسلوبي، فهي ليست نهاية لجملة فحسب، بل نتيجة بلاغيّة مركّبة تُبيّن كيف تؤثّر البنية النّحويّة على طبيعة المَعْنَى والإقناع(شادي، 2013: 24–26)، وإنّ جمال التّوازن الصّوتي وتراصّ التّراكيب يُعزّز من وقعها على السّمع والعقل معًا.

وكذا نجد أسلوب الفَذْلَكَة عندما تحدّث عن مواضع التّقديم والتّأخير في الاستفهام(حامدة، 2012: 38–39)، بقوله: "وجملةُ الأَمرِ أنَّ تقديَم الاسمِ يَقْتضي أنَّك عَمَدتَ بالإنكارِ إلى ذاتِ مَنْ قيلَ (إنَّه يَفْعل) أو قالَ هو (إني أفعلُ)، وأردتَ ما تُريدُه إذا قلتَ: (ليسَ هوَ بالذي يفعلُ، وليس مثلُه يَفعل) ولا يكونُ هذا المَعْنَى إذا بدأتَ بالفعل فقلتَ: (أَتفعل؟). أَلا ترى أنّ من المُحالَ أنْ تَزعم أنَّ المَعْنَى في قولِ الرجلِ لصاحبِهِ: (أتَخْرجُ في هذا الوقتِ؟ أتغرّرُ بنفسكَ؟ أتمضي في غيرِ الطّريق؟)، أنَّه أَنكَرَ أنْ يكونَ بمثابةِ مَن يفعلُ ذلك، وبموْضعِ من يجيء منه ذاكَ؛ لأنَّ العِلمَ مُحيطٌ بأنَّ النّاسَ لا يُريدونه، وأنَّه لا يَليقُ بالحالِ الّتي يُستعملُ فيها هذا الكلامُ"(الجَرْجَانِي، 1992: 118)، فنصّ عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي هذا يُعدّ مثالًا مركّبًا ومتقدّمًا للفَذْلَكَةِ البَلاغِيَّة في (دَلائِل الاعْجَاز)، إذ يبلغ التّحليل فيه درجة عالية من الدّقّة المنهجيّة، والتّكثيف الحجاجي، مع المحافظة على جمال الإيقاع والتّركيب، وتحليل القيمة الجماليّة والبَلاغِيَّة لهذا النّص، الّذي يتضمّن فذلكة ممتدّة، فموضع الفَذْلَكَة يتمثّل هنا في التّركيب الكثيف الّذي يختزل أطروحة الجَرْجَانِي في هذه الفقرة، ويُغلق التّحليل باستنتاج بلاغي ذكي بقوله: (أنَّه أَنكَرَ أنْ يكونَ بمثابةِ مَن يفعلُ ذلك، وبموْضعِ من يجيء منه ذاكَ؛ لأنَّ العِلمَ مُحيطٌ بأنَّ النّاسَ لا يُريدونه، وأنَّه لا يَليقُ بالحالِ الّتي

يُستعملُ فيها هذا الكلامُ) فهو تحليل طويل لتقديم الاسم أو الفعل في الإنكار، ويختزل الفكرة في استنتاج قاطع جامع بين البيان المنطقي واللمسة الجماليّة، والقيمة الجماليّة من خلال الإيقاع النّحوي والوزني، فإنّ تكرار الصّيغ المتماثلة مثل: (أنْ يكون بمثابة من يفعل)، (بموضع من يجيء منه) يصنع موسيقى داخليّة هادئة، ويؤدّي إلى توازن لغوي يعطي الجملة جمالًا خاصًّا، وكذا الانسجام الصّوتي، فالكلمات: (بمثابة)، (بموضع)، (يجيء منه ذاك) تتآلف صوتيًّا لتخلق إيقاعًا داخليًّا متماسكًا ومريحًا للذّهن والسّمع، وكذا الاقتصاد والتّكثيف البلاغي على الرّغم من التّركيب المركّب، فإنّ الجَرْجَانِي يُوجز الحُجّة في جملة واحدة محكمة، وهذه قيمة جماليّة عليا في الأسلوب العلمي البلاغي(حمراني، 2017: 380–384)، وإنّ القيمة البَلاغِيَّة للفَذْلَكَةِ في التّمييز بين طريقتين في توجيه الإنكار تؤسّس لفهم فارق بلاغي بين قولك (أتفعل؟) وبين (أأنت تفعل؟)(بدوي، د.ت: 53–54)، فالأولى إنكارٌ على الفعل، والثّانية إنكار على الشّخص بوصفه فاعلًا محتملًا، وهذا يبيّن أثر النّظم في توليد المَعْنَى، وهي أطروحة الجَرْجَانِي الكبرى، وكذا نلحظ الإقناع المنطقي والبياني حين يقول: (لأنّ العلم محيط بأنّ النّاس لا يريدونه...) فهو يعزّز الحجة بحقيقة عقليّة يعرفها كل سامع، فيُقوّي الاستنتاج، ويضمن القبول، وعند تحويل النّحو إلى تفكير دلالي نجد أنّ ما يُعرض في هذا النّص ليس مجرّد شرح نحوي، بل تفكيك لأثر البنية على التّلقّي والمَعْنَى البلاغي، ممّا يرفع من قيمته الإقناعيّة والفكريّة، ووظيفة الفَذْلَكَة في النصّ هي خاتمة استنتاجيّة للفكرة، فالفَذْلَكَة هنا تُغلق دائرة الحجّة وتربط بين الأجزاء الأولى من التّحليل والنّتيجة النّهائيّة، وإنّ إعادة بناء المَعْنَى للمتلقّي توجّه المتلقّي لإعادة النّظر في تفسير الأساليب الشّائعة في الخطاب، وتُشعره بأنّ بلاغة الكلام ليست ظاهريّة، بل تتعلّق بالبنية الخفيّة، وإنّ تحقيق التّماسك الحجاجي يجعل النّصّ أكثر تماسكًا، إذ تنهي الفقرة بجملة موجزة تحمل نتيجة فكريّة واضحة، لكنها تُقال بلغة مجازيّة مُنمّقة(جلال، 1984م: 35–39)، وخلاصة ما سبق أنّ الجَرْجَانِي يستعمل الفَذْلَكَة بأسلوبها البلاغي المتقن لتوليد معنى مركّب، يبرز أثر النّظم في إنتاج المَعَانِي الدّقيقة، ولا سيما في أساليب الإنكار والسّؤال، وهو يدمج بين الإقناع العقلي، والبيان الدّلالي، والجمال اللفظي، ما يجعل فذلكته أكثر من مجرّد استنتاج، بل إنها بناء بلاغي فكري متكامل.

وكذا نلحظ أسلوب الفَذْلَكَة عندما تحدّث في باب الفَصلُ والوصل، بقوله: "وجملةُ الأمِر أنّها لا تجيءُ حتّى يكونَ المَعْنَى في هذِهِ الجملة لَفْقاً للمعنى في الأخرى ومُضَامًّا له، مثل أنّ (زيداً وعمرًا) إذا كانا أخوَيْن أو نظيرين أو مُشتبكَي الأحوالِ على الجملة، كانتِ الحالُ التي يكونُ عليها أحدُهما، من قيامٍ أو قعودٍ أو ما شاكَلَ ذَلكَ، مضمومة في النَّفسِ إلى الحالِ الّتي عليها الآخَرُ من غَير شَكٍ. وكذا السّبيل أبدًا"(الجَرْجَانِي، 1992: 225)، هذا النّص للجرجاني يُعَدّ أنموذجًا بلاغيًّا رفيعًا يجسّد أسلوب الفَذْلَكَة في أبهى صوره، ويمكن تحليل القيمة الجماليّة والبَلاغِيَّة فيه من خلال عدّة زوايا، منها: التّرابط المعنوي والدّلالي–الائتلاف–، فعَبْد القَاهِر يؤسّس لفكرة الفَذْلَكَة بوصفها

ائتلافًا دلاليًّا لا يتحقّق فيه المَعْنَى إلا بضمّ الجملة الأخيرة إلى الأولى، بحيث يندمج المعنيان ليشكّلا وحدة واحدة لا تستقل إحداهما عن الأخرى، وهذا ينعكس في تمثيله بـ(زيد وعمرو) كأنّهما يشتركان في حال واحدة يُضمّ فيها حال أحدهما إلى حال الآخر بلا تمييز، فهذه الفكرة تُظهر جماليّة الانسجام المعنوي بين أجزاء الكلام، ممّا يولّد عند القارئ لذّةً فكريّة مصدرها إدراك التّناسق العميق، كما نلحظ التّمثيل والتّصوير، فالجُرْجَانِي استعمل مثالاً محسوسًا، وهو تشابه الأحوال بين شخصين، ممّا يعطي القارئ صورة حيّة تُقرّب المَعْنَى العقلي المجرّد إلى الحواس، وهذه من أدقّ وظائف البلاغة، فالألفاظ عنده لا تزيَّن الزّينة السّطحيّة، بل تُصاغ على وفق بنية المَعْنَى العميق، وإنّ الأسلوب المنطقي والتّحليل الدّقيق نجد فيه ميول الجُرْجَانِي إلى الأسلوب التّحليلي البرهاني، وهذا يرفع من قيمة النصّ الجماليّة، إذ يُخاطب عقل المتلقّي وذائقته معًا، والجمال هنا لا في الزّخرف، بل في التّناسب المنطقي و(النّظام) الّذي هو عنده جوهر البلاغة، وإنّ التّركيب النّحوي والتّوازن الإيقاعي في العبارات مثل: (لفقًا للمعنى)، و(مضامًا له)، و(من غير شك)، تتوالى بتناغم صوتي ونحوي يحقّق إيقاعًا خفيًّا يعزّز من وقْع الفكرة في النّفس، وهناك أيضًا توازن بين أطراف الجمل ممّا يضفي طمأنينة سمعيّة للقارئ، ونجد تحقيق مقصد الفَذْلَكَة في النّهاية(حامدة، 2012: 26–28)، فهذا النّص يحقّق غرض الفَذْلَكَة كما حدّدها الجُرْجَانِي بربط يُضفي على الكلام طابع الإحكام والانسجام، فيغدو كلّ جزء ضرورة لا يتمّ المَعْنَى دونه، وهذا هو الجمال البلاغي الحقيقي عند الجُرْجَانِي لا في اللفظ لذاته، بل في ارتباطه العضوي بالمَعْنَى.

وكذا نجد أسلوب الفَذْلَكَة عندما تحدّث في باب اللفظ والنّظم، بقوله: "وجملةُ الأمر أنَّ صُوَرَ المَعَانِي لا تتغيَّر بِنَقْلها من لفظٍ إلى لفظٍ، حتّى يكونَ هناك اتساعٌ ومجازٌ، وحتّى لا يُرادَ منَ الألفاظِ ظواهرُ ما وُضِعَتْ له في اللغة، ولكنْ يُشارُ بمعانيها إلى معانٍ أُخَرَ"(الجُرْجَانِي، 1992: 265)، هذا النّص يعكس بوضوح عمق الفَذْلَكَة البَلاغِيَّة لديه، ويُبرِز القيمتين الجماليّة والبَلاغِيَّة من خلال إبراز دور المَعْنَى العميق والانتقال المجازي في إبداعيّة التّعبير، وإنّ القيم الجماليّة والبَلاغِيَّة في هذا النّصّ تكمن في جمال التّحليل العقلي للبلاغة فعَبْد القَاهِر لا ينظر إلى البلاغة بوصفها مجرّد زخرف لفظي، بل بوصفها تحوّلًا في طبيعة المَعْنَى، لا يحدث إلا عبر الانتقال من ظاهر اللغة إلى علاقتها بالمَعَانِي الأخرى، وهو ما يحقّق عنده الفَذْلَكَة؛ أي: الرّبط العضوي العميق بين الجمل، والجمال هنا عقلي تأمّلي، فالمجاز بوصفه أداة توليد للمعنى، فالنّص هنا يركّز على أنّ المَعَانِي لا تتغيّر ما دامت الألفاظ تُستعمل في دلالاتها الأصليّة، أما حين يتدخّل المجاز ويُشار باللفظ إلى معنى آخر، يبدأ الإبداع، وهذه النّقلة المجازيّة هي الّتي تفتح مجال الفَذْلَكَة، إذ تتداخل المَعَانِي وتتماهى الجمل فيما بينها لتُنتج وحدة فكريّة وجماليّة متماسكة، وإنّ تجاوز السّطح إلى العمق في هذا النّص، ينبه الجُرْجَانِي إلى أنّ البلاغة ليست في ظاهر اللفظ، بل في الإشارة إلى معانٍ أُخَر تتجاوز ما وضع له اللفظ في اللغة، وهذا يشكّل قيمة جماليّة عالية؛ لأنّه يحث المتلقّي

على استبطان المَعْنَى والبحث عن الرّوابط الخفيّة بين الألفاظ، ونلحظ أنّ الوظيفة الإشاريّة للغة في العبارة (ولكن يُشار بمعانيها إلى معانٍ أُخَر) تُظهر كيف تتحوّل اللغة إلى نظام إشاري معقّد، لا يُقصد به ما هو مباشر، بل ما هو مُضمَن ومُشار إليه، وهنا تتجلّى الفَذْلَكَة في أسمى صورها، بوصفها تراكبًا في الطبقات الدّلاليّة، وكذا إيجاز بداية الفَذْلَكَة المفكَّر فيه بجملة لطيفة، فالجَرْجَانِي يُجمل فكرته بقوله: (وجملة الأمر)، وهو مفتتح دالّ على الإيجاز الّذي لا يُخلّ بالمَعْنَى، بل يركّز المَفْهُوم ويمنحه بُعدًا تأمّليًّا، وهذا النّوع من الإيجاز البلاغي له قيمة جماليّة واضحة، ويُظهر إحكام الأسلوب(حمراني، 2017: 379–382)، وخلاصة ما قلنا أنّ الفَذْلَكَة تتجلّى بوصفها قادرة على نقل الكلام من ظاهر اللفظ إلى عمق المجاز والمَعْنَى الإشاري(حامدة، 2012: 100–104)، إذ يُعاد تشكيل العلاقات بين الألفاظ والمَعَانِي لتُنتج بنية بلاغيّة محكمة، تتّسم بالتّماسك، والانزياح، والإيحاء، وإنّ الجماليّة في النصّ نابعة من هذا التّواشج بين البنية الفكريّة والصّياغة البَلاغِيَّة.

وكذا نجد أسلوب الفَذْلَكَة عندما تحدّث في تحرير القول في الإعجاز والفصاحة والبلاغة(بدوي، د.ت: 97)، بقوله: "وجملةُ الأمرِ أنّك لا تَرى ظنًّا هو أَنْأَى بصاحبِه عن أن يصِحَّ له كلامٌ، أو يستمِرَّ له نظامٌ، أو تَثْبُتَ له قدَمٌ، أو يَنْطِقَ منه إلاَّ بالمُحال فمٌ، مِنْ ظَنِّهم هذا الّذي حامَ بهم حَوْلَ (اللفظِ)، وجعلهم لا يعدّونه، ولا يرون للمزيّة مكانًا دونه"(الجَرْجَانِي، 1992: 400)، هذا النّص يفتح مجالًا غنيًّا للتّأمّل في بلاغة الفَذْلَكَة عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي، وهو مثال حيوي على استعماله لهذا الأسلوب لتفنيد تصوّرات خاطئة، وتأسيس فهم بلاغي عميق، فأسلوب الفَذْلَكَة عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي لا يُختزل في مجرّد تلخيص أو انتقال من جزء إلى آخر من الكلام، بل هو نظام بلاغي متكامل، يُستعمل لتكثيف المَعْنَى، ولربط الأجزاء المختلفة في بناء منطقي دِلالي متماسك، وعبارة (وجملة الأمر) تمثّل علامة دالة على هذا الأسلوب، إذ يستعملها الجَرْجَانِي ليقدّم نتيجة تأمّل طويل، أو ليبدأ نقدًا مركّزًا، أو لينتقل إلى بيان خلاصة نظريّة، وبهذا تصبح الفَذْلَكَة أداة لتنظيم البنية الحجاجيّة في النصّ البلاغي، وفي هذا السّياق يتجلّى هذا النّص بوصفه موقفًا نقديًّا حادًّا من نزعة اللفظيّة الّتي كانت سائدة، حيث يرى بعض البلاغيين أنّ الفصاحة تتوقّف على اللفظ وحده، لا على التّرتيب أو النّظم أو المَعْنَى(حامدة، 2012: 81–82)، ونجد أنّ تحليل الفَذْلَكَة في بنية النصّ تبدأ بعبارة: (وجملة الأمر أنّك لا ترى ظنًّا هو أنأى بصاحبه...) وهذه الفَذْلَكَة تقوم بعدّة وظائف في آنٍ واحد، فهي: تُؤسّس رأيًا حاسمًا وموقفًا نقديًّا صريحًا، ما يُعزّز من حيويّة النّص ومباشرته البَلاغِيَّة، وتجمع معاني متعدّدة في سياق واحد كالظّنّ، والبعد عن الصّواب، واستحالة الفهم، وكلّها تُلخّص في عبارة واحدة، وتُهيّئ القارئ لحكم قِيمي حاسم، يتجاوز السّرد والتّحليل إلى التّقويم والقطع في الموقف، والفَذْلَكَة هنا تؤدّي وظيفة مفصليّة، فهي ليست اختزالًا لما سبق فحسب، بل إعلانٌ عن نقطة تحوّل فكريّة في سياق الحجاج، ينتقل فيها الجَرْجَانِي من الوصف إلى الهجوم البلاغي، كما نجد أنّ عَبْد القَاهِر يوظّف سلسلة من الأفعال في صيغة

منفيّة أو مستبعدة، كـ(لا يصح له كلام) و(لا يستمر له نظام) و(لا تثبت له قدم) و(لا ينطق منه إلا بالمحال فم) وهذا التّكرار البنائي يعطي الجملة إيقاعًا خطابيًّا قويًّا، ويُبرز مقدار الخلل الّذي يراه في ذلك الظّنّ اللفظي، كما ويُلاحظ أنّ هذه الجملة بنيت على هيئة تدفّق تصاعدي، ينطلق من عدم صحّة الكلام، وينتهي بالاستحالة المطلقة في أن ينطق الإنسان إلا بالمحال، ممّا يُعطي النّص نبرةً حجاجيّةً عالية الجماليّة، تقوم على التّضخيم السّاخر لمآل من يحصر البلاغة في اللفظ، وهذا الأسلوب قائم على تصعيد بلاغي يُفضي إلى تهكّم فنيّ رفيع، ويُعدّ أحد أهمّ وجوه الجمال في خطاب عَبْد القَاهِر، وإنّ نقطة الجمال الكبرى في هذا النصّ تكمن في القدرة على تقويض تصوّر خاطئ بلغة فنّيّة، فالجَرْجَانِي لا يقول (هذا خطأ) فحسب، بل يصوّر النّتيجة كأنّها سقوط كامل للمنطق اللغوي، بـ(لا نظام، لا استقرار، لا معنى، واستحالة النّطق بغير المحال) وهنا يظهر الفن البلاغي(محمد، 1983: 5-9)، إذ يستعمل الجَرْجَانِيّ المفردات البَلاغِيَّة لتفكيك البناء النّظري لخصومه، بأسلوب تهكّمي، تصعيدي، ساخر، ولكن دقيق جدًا في نزع المصداقيّة من التّصوّر المخالف، وهذا النّوع من البلاغة ليس وظيفيًّا فحسب، بل يحمل قيمة جماليّة في ذاته؛ لأنّه يُحدث تأثيرًا قويًّا في المتلقّي، ويُبرز المهارة البَلاغِيَّة في تحويل الحجاج إلى فنّ(بدوي، د.ت: 96-97)، وهنا نجد أنّ الفَذْلَكَة أداة لترسيخ الموقف البلاغي، فالنّصّ يُختتم بعبارة تشير إلى جوهر المشكلة: (ظنّهم هذا الّذي حام بهم حول اللفظ)، ويقصد بذلك اختزال البلاغة في مجرّد تحسينات لفظيّة سطحيّة، دون نظر إلى النّظم والعلاقات بين الألفاظ والمَعَانِي، وهذا (الظنّ) يرمز إلى خطرٍ منهجيّ في فهم البيان العربي، وهنا تتجلّى قيمة الفَذْلَكَة البَلاغِيَّة فبها يفضح الجَرْجَانِي اختزال الفكر، ويعزو السبب إلى أنّ المَعْنَى لا يولد من اللفظ وحده، بل من (النّظم)، أي: من الطّريقة الّتي تتضافر بها الكلمات في بناء الجملة، وبهذا تُصبح الفَذْلَكَة موقفًا معرفيًّا قبل أن تكون مجرّد أداة لغويّة تُلخّص وتوجّه وتبني المواقف النّظريّة، وتعطي النّصّ تماسُكه الدّاخلي والجمالي معًا، وخلاصة ما ذكرنا أنّ هذا النّص يمثّل أنموذجًا متكاملًا لأسلوب الفَذْلَكَة عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي، ليس من حيث الشّكل فحسب، بل من حيث الوظيفة أيضًا، فهو نصّ يجمع بين الجمال البلاغي، والعمق الفكري، والتّهكّم الحجاجي، والنّقد المؤسّس(حامدة، 2012: 47-48، علي، 2000: 12-15)، والفَذْلَكَة هنا تتحوّل إلى بنية فكريّة كاملة، تتجاوز حدود الجملة إلى بناء النّصّ، وتُسهم في تأليف خطاب بلاغي متماسك وجذّاب في آنٍ واحد.

وكذا نلحظ أسلوب الفَذْلَكَة عندما تحدّث في باب اللفظ والنّظم، فصل في المجاز الحكمي، بقوله: "وجملةُ الأمرِ، إنَّ (الخبرَ) وجميعَ الكلامِ، معانٍ ينشِئُها الإنسانُ في نفسهِ، ويُصرِّفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقلَه، وتوصَفُ بأنَّها مقاصدُ وأغراضٌ، وأعظمُها شأناً (الخَبرُ)، فهو الّذي يُتصوَّر بالصُّوَرِ الكثيرة، وتقعُ فيه الصّناعاتُ العجيبةُ، وفيه يكونُ، في الأمرِ الأعمّ، المزايا الّتي بها يقعُ التّفاضلُ في الفصاحَةِ، كما شرحنا فيما تقدَّم، ونشرحُه فيما تقول من بعد إن

شاء الله تعالى"(الجَرْجَانِي، 1992: 538)، القيمةُ الجماليّة والبَلاغِيَّة في أسلوب الفَذْلَكَة في هذا النّصّ ظاهرة بوصفها أسلوب بناء واستئناف دلالي فعبارة (وجملة الأمر) في مفتتح النصّ تُعدّ من أبرز الأدوات الّتي يستعين بها الجَرْجَانِي لتحقيق أسلوب الفَذْلَكَة، وهي عبارة تستأنف بها البلاغة التّفصيل لما سبق، وتفتح أفقًا جديدًا للفهم، وهذه العبارة ليست مجرّد تلخيص، بل هي عقدة وصل بين ما قُدِّم من حجج وما سيُبنى عليها لاحقًا، وبهذا الشّكل تتحوّل الفَذْلَكَة إلى أداة منهجيّة تنظّم التّفكير البلاغي في النّص، وتصوغ سياقًا شموليًّا لا يمكن فيه لأيّ فقرة أن تقف بمفردها دون سند ممّا قبلها وبعدها، وهنا الجماليّة في تصوير الخبر كعمليّة عقليّة داخليّة يُبرزها عَبْد القَاهِر بأنّ الخبر ليس مجرّد تركيب لفظي يُلقى، بل هو نتاج عمليّات ذهنيّة داخليّة (ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرّفها في فكره، ويُناجي بها قلبه، ويُراجع فيها عقله)، وهذه العبارات تمثّل ثراءً تصويريًّا رائعًا؛ إذ يُجسّد المَعْنَى المجرّد في صورة حيويّة نابضة بالحركة والشّعور(بدوي، د.ت: 160–162)، ممّا يضفي على النصّ جماليّة وجدانيّة وفكريّة في آن واحد، وهذا التّصوير يعكس أيضًا ما يُعرف في البلاغة المعاصرة باسم (إضفاء النّفس على المَعْنَى)، أي: جعل المَعْنَى يمرّ عبر أُطر وجدانيّة وعقليّة متعدّدة، وهو ما يُثري الدّلالة ويُعقّدها بصورة بلاغيّة راقية، وإنّ البنية الإيقاعيّة والوظيفيّة للفَذْلَكَةِ في هذا النّصّ تمتاز بإيقاع لغوي داخلي، ناجم عن التّكرار والتّناظر الصّوتي بين الأفعال المتعاقبة (ينشئ، يصرّف، يناجي، يراجع)، ممّا يُضفي موسيقى لغويّة رصينة تعزّز من قيمة النّص الجماليّة، غير أنّ الجمال في هذا الإيقاع ليس جماليًّا فحسب، بل وظيفي بلاغي أيضًا، إذ يُعبّر عن تسلسل المراحل الّتي يمرّ بها المَعْنَى في ذهن المتكلّم قبل أن يُصاغ في صورة خبر، وبهذا فإنّ الفَذْلَكَة هنا لا تربط المَعَانِي ربطًا لفظيًّا فحسب، بل تنظّم مراحل تشكّلها داخل النّفس والعقل، وتعرضها بلغة موزونة متدرّجة، ونجد أنّ بلاغة التّعظيم والإعلاء لمقام الخبر من أبرز مظاهر الجمال البلاغي في هذا النصّ، فالجَرْجَانِي يضفي على الخبر مقامًا استثنائيًّا بين أنواع الكلام، فيقول: (وأعظمها شأنًا الخبر)، وهذا الأسلوب يُضمر حكمًا بلاغيًّا، يُحيل إلى أنّ سرّ الفصاحة يكمن في إحكام صناعة الخبر؛ لأنّه موضع (الصّناعات العجيبة) و(المزايا الّتي بها يقع التّفاضل في الفصاحة) (حامدة، 2012: 80–84)، وهذا النّوع من الخطاب يعكس بلاغة نقديّة تحليليّة، تمتزج فيها الرّؤية الجماليّة بالنّظريّة البَلاغِيَّة، فيُعلي من شأن أحد مكوّنات الكلام استنادًا إلى معيار فنّيّ خالص، لا إلى تصنيف نحوي(بختي، 2019: 62–65)، إذ إنّ الفَذْلَكَة أفق للاتّصال النّصّي والمنهجي، فالنصّ لا يُغلق على نفسه، بل ينفتح على ما سبقه وما سيتبعه، كما يظهر في قوله: (كما شرحنا فيما تقدّم، ونشرحه فيما نقول من بعد إن شاء الله تعالى)، وهذه الصّيغة تُجسّد أسلوب الفَذْلَكَة بأوضح تجلّياته، فالنصّ هو كيان ممتد، لا تُفهم أجزاؤه إلا في ضوء ما سبق وما سيلحق، وهنا تتحوّل الفَذْلَكَة من مجرّد وسيلة لغويّة إلى أداة للرّبط المعرفي والمنهجي، تجعل كل جزء من النصّ يشتغل في خدمة الكلّ، وكلّ فقرة تحتفظ بعلاقة جدليّة مع بقيّة البناء،

ممّا يمنح (دَلائِل الاعْجَاز) طابعًا معماريًّا فريدًا، والنصّ الّذي بين أيدينا يعكس روح مشروع عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي، الّذي يرى أنّ البلاغة ليست في المفردة، بل في نَظْم المفردات وتناسقها مع المقاصد، والفَذْلَكَة في هذا السّياق ليست مجرّد تلخيص أو انتقال، بل هي جهاز بلاغي مركزي يعيد ترتيب العلاقات داخل النصّ، وينسج بينها نسيجًا محكمًا يجعل من كلّ جملة لبنة ضروريّة في بناء متماسك، وتُظهر هذه المقاطع كيف أنّ الجُرْجَانِي لا يكتب بلاغة وصفيّة، بل يمارس بلاغة تحليليّة ومنهجيّة وفنّيّة، تزاوج بين الجمال، والدّقة، والتّأمل العقلي، وأسلوبه في الفَذْلَكَة يُعدّ من أقوى ما يميز (دَلائِل الاعْجَاز) عن غيره من كتب البلاغة، بل عن كلّ من سبقه(مطلوب، 1973: 33-40).

المَبحثُ الثاني: بيان دور الفَذْلَكَة في إبراز المَعَانِي البَلاغِيَّة.

تُعدّ البلاغة عند عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي تجربة عقليّة وفنيّة تنبني على ترابط الألفاظ والمَعَانِي في نسق يتجاوز الحسن الفردي للكلمة إلى جمال التّركيب الكلّي، ومن أبرز آليّات التّحليل البلاغي الّتي تتجلّى ضمنيًّا في كتابه (دَلائِل الاعْجَاز)، ما نصطلح عليه بـ(الفَذْلَكَة)، وهي القدرة على جمع الأجزاء المتفرّقة في النصّ وتحليلها ضمن سياق يبرز المَعْنَى الشّامل والوظيفة البَلاغِيَّة(بدوي، د.ت: 101-102)، ونهدف في هذا المَبحثُ إبراز الدّور الّذي تقوم به الفَذْلَكَة في كشف المَعَانِي البَلاغِيَّة الخفيّة وتماسك النصّ القُرآنِي وانسجامه، فهي تتبدّى من خلال تحليل النّظم وتفسير العلاقات بين الكلمات والجمل(حامدة، 2012: 110-115)، والفرق بين الفَذْلَكَة والشّرح أو التّفسير، فالتّفسير يركّز على المَعْنَى المفرد أو الظّاهر، أما الفَذْلَكَة فتركّز على تركيب المَعَانِي وصياغتها ضمن بنية كلّية متماسكة. كما تعدّ الفَذْلَكَة آليّة لإظهار الإعجاز البلاغي، فكما يفهم من الجُرْجَانِي أنْ ليس النّظم أن تضع الكلمة في موضعها من غير أن تنظر في الكلمة الّتي قبلها والّتي بعدها(الجُرْجَانِي، 1992: 81)، فالمَعْنَى البلاغي يظهر من العلاقات، لا من المفردات المعزولة. كما أنّ الفَذْلَكَة تقوم بربط المقدّمات بالنّتائج، والتّمهيد بالخاتمة، وتظهر جماليّة البلاغة من التّماسك الدّاخلي للنّص، والفَذْلَكَة تفسّر العلاقات النّحويّة والدّلاليّة من خلال أدوات العطف، والتّقديم والتّأخير، والحذف، والإضمار، ولا تُفهم دون الفَذْلَكَة، فالجُرْجَانِي يُظهر أنّ الإعجاز يتجلّى في الرّبط الذّكي بين هذه الأدوات. كما نجد دور الفَذْلَكَة في كشف التّناسب بين الصّور البَلاغِيَّة، فالصّورة الجزئيّة لا تُغني عن الصّورة الكليّة، فالجُرْجَانِي يحلّل التّشبيه والاستعارة ضمن السّياق(شادي، 2013: 14-15)، والصّورة تعمل داخل نظام متكامل، والفَذْلَكَة تكشف هذا النّظام. كما نلحظ أنّ الفَذْلَكَة وسيلة لفهم المقاصد البَلاغِيَّة، وليست الزّينة اللغويّة هدفًا، فالجُرْجَانِي ينتقد البلاغيّين الّذين يُفتَتَنُون بالألفاظ دون فهم السّياق، فالفَذْلَكَة تُعيد البلاغة إلى وظيفتها الأصليّة، بخدمة المَعْنَى والمقصد(بدوي، د.ت: 125-127)، كما إنّ للفَذْلَكَةِ وظيفة الإقناع والتّأثير من خلال تحليل التّسلسل البلاغي، فالفَذْلَكَة تُظهر كيف يُقنع النّص القارئ ويؤثّر فيه تدريجيًّا. كما تعدّ

الفَذْلَكَة أداة لفهم الإيجاز، فعندما يُحذف جزء من الكلام، لا يُفهم إلا بالفَذْلَكَة، فالجَرْجَانِي يستخدمها لتفسير البلاغة في مواضع الحذف. كما أنّ الجَرْجَانِي يشرح أنّ الإطناب قد يكون ضروريًّا لتقوية المَعْنَى، فالفَذْلَكَة تُظهر أنّ التّوسّع في الكلام أحيانًا يخدم غاية بلاغيّة أعمق، كما نلحظ أهمّيّة الفَذْلَكَة في القراءة التّأويليّة الحديثة عند تقاطعها مع تحليل الخطاب، فهي تُشبه التّحليل النصّي الحديث الّذي يبحث في الوحدة العضويّة للنصّ، وتُفسّر التّرابط السّياقي والبنية الحجاجيّة(عبدالمطلب، 1995: 4–9)، كما تعدّ الفَذْلَكَة أداة لفهم الجمال الخفي، فالفَذْلَكَة لا تُظهر البلاغة الظّاهرة فقط، بل الجمال الخفي الكامن في النّسيج اللغويّ.

الفَصلُ الثّالث: الأثر الجماليّ والبلاغيّ للفَذْلَكَةِ

الفَذْلَكَة بوصفها عمليّة عقليّة وفنيّة تتجاوز التّفسير التّقليدي للنّص، وتُعدّ من أبرز مظاهر الإبداع التّحليلي في البلاغة العربيّة الكلاسيكيّة، لا سيما عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي في كتابه (دَلائِل الاعْجَاز)، إذ تتجلّى الفَذْلَكَة في ربط الأجزاء الصّغيرة من النصّ لتشكيل وحدة كليّة ذات معنى جمالي وبلاغي، لا يتحقّق إلا عن طريق التّكامل والتّماسك بين الألفاظ والمَعَانِي في هذا السّياق، وللفَذْلَكَةِ أثر جماليٌّ في إبراز تناغم النصّ، وأثر بلاغيٌّ في الكشف عن براعة النّظم ودقّة المَعَانِي(بختي، 2019: 30–33)، وإنّ العلاقة بين الفَذْلَكَة والجمال البلاغي تكون بجمال النّص ليس في أجزائه بل في تركيبه، وعَبْد القَاهِر ينصّ بوضوح على أنّ البلاغة لا تكمن في اللفظ المجرّد بل في نظمه، والجمال يُستخلص من العلاقات بين الكلمات أكثر من الكلمات نفسها، والفَذْلَكَة آليّة لإبراز هذه العلاقات، فالفَذْلَكَة تُساعد على كشف جمال النصّ من خلال ربط أجزائه ضمن نسق متكامل. كما تخلق توازناً داخليًّا يُثير الذّوق ويدفع إلى التّأمّل، فالفَذْلَكَة مولدة للتّناغم النصّي بالتّقديم والتّأخير إلى التّوازن الإيقاعي، والجَرْجَانِي يوضّح كيف يؤدّي ترتيب الألفاظ إلى خلق تناغم صوتي ومعنوي(بدوي، د.ت: 138–140)، فالفَذْلَكَة تبرز هذا التّناغم عبر إعادة قراءة النصّ كوحدة واحدة، فالجَرْجَانِي يرى أنّ كلّ صورة بلاغيّة تعمل ضمن شبكة سياقيّة، والفَذْلَكَة تحلّل هذه الشّبكة وتكشف كيف تتكامل الصّور في توليد التّأثير، والفَذْلَكَة تكشف جمال الصّورة الكليّة المتسلسلة، كما أنّ الفَذْلَكَة تفتح باب الذّوق(حامدة، 2012: 126–129)، فهي ليست تحليلًا ذهنيًّا فحسب، بل تُوجّه المتلقّي إلى تذوّق النصّ بانسجامه، وتُحدث تفاعلًا شعوريًّا مع الخطاب، والانتقال من معنى إلى آخر بلطافة وسلاسة، يُعطي شعورًا بالإتقان، والفَذْلَكَة تكشف هذا الانتقال وتجعله ملموسًا للقارئ، والفَذْلَكَة تُبيّن كيف تعمل الجملة كلوحة متكاملة. كما تُظهر كيف تُرتّب الجمل لتهيئة النّفس لاستقبال التّأثير، والجَرْجَانِي يعتبر أنّ بعض البلاغة تكون فيما يُفهم ضمناً، والفَذْلَكَة تُعيد تركيب المَعْنَى لتُكمل ما لم يُذكر صراحة. كما الفَذْلَكَة تكشف التّحوّل من الحسّي إلى المجازي في بناء بلاغي عميق، وإنّ وحدة النصّ لا تتحقّق إلا بتحليل فذلكي(جلال، 1984م: 53–58)، فالجَرْجَانِي يحلّل النّصوص بوصفها كيانات حيّة، والفَذْلَكَة تُعيد بناء النصّ

وتُظهر انسجام أجزائه، فكلّ لفظ في مكانه، وكلّ معنى في سياقه، والفَذْلَكَة تُقوّي شعور القارئ بأنّ النصّ محبوك بإحكام.

المَبحثُ الأوّل: مُساهمة الفَذْلَكَة في تحقيق الإقناع والجمال في النّصوص.

الفَذْلَكَة جذورها في التّراث البلاغي، لا سيما عند عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي، والفَذْلَكَة بوصفها تركيباً لغويّاً تجمع بين الإيجاز والإطناب، وتسهم في ترسيخ الحجّة، وتنظيم الفكرة وترسيخها ذهنيّاً لدى المتلقّي، والرّبط بين بداية الكلام ونهايته لتشكيل وحدة خطابيّة محكمة، وهي تجسيد لفن الصّياغة اللغويّة، وتأثيرها في التّلقّي والمتعة الجماليّة، وقد عالج الجُرْجَانِي الفَذْلَكَة بوصفها أثراً من آثار النّظم، بتوظيفها لبيان إعجاز القرآن، وبيان كيف أسهمت في الإقناع والجمال، والتّأكيد على الوظيفة المزدوجة: الجماليّة والإقناعيّة، وأهمّيّة دراسة الفَذْلَكَة في سياق التّحليل البلاغي للنّصوص القديمة والمعاصرة، وإنّ مساهمة الفَذْلَكَة في تحقيق الإقناع والجمال في النّصوص يُظهر التّفاعل العميق بين البنية الأسلوبيّة والمقاصد التّأثيريّة في الكلام، لا سيما في الخطاب الأدبي والقُرآنِي(حمراني، 2017: 381–385)، فالفَذْلَكَة آليّة إقناعيّة في النصّ وتسهم في ترسيخ الفكرة وحسن اختتام الحجّة، وعلاقتها بالتّكرارِ، والتّوكيدِ، والتّلخيصِ، والفَذْلَكَةُ أداة لتحقيق الجمال الأسلوبي بجمال الإيقاع والتّركيب فيها، ودورها في إبراز التّناظر والتّناسب داخل النصّ، وعلاقتها بـ (حسن التّخلّص) و(براعة الاستهلال)، فضلا عن دورها في وحدة النصّ وتماسكه، فهي تُسهم في ربط البداية بالنّهاية، وتبرز البنية الدّائريّة أو الحلقيّة في النّصوص الأدبيّة، وتحقّق التّوازن بين التّقديم والتّأخير(حامدة، 2012: 28–30)، وتجسّد التّناسق بين المَوضُوع والختام، والجمال والإقناع من خلال البناء البلاغي، وأثرها في الإقناع أو المفاجأة أو الإغلاق الجمالي، والفَذْلَكَة ليست خاتمة فحسب، بل هي أداة فنّيّة لإقناع العقل وامتاع الذّوق، والتّأكيد على شمولها للوظيفتين: الحجاجيّة والجماليّة(بدوي، د.ت: 408–409)، والدّعوة لقراءة النّصوص بعين الفَذْلَكَة لفهم منطقها الدّاخلي، ولا يُختَتم الكلام البليغ إلا بما يُتمّ معناه، ويُقنع العقل، ويُبهج الذّوق، وهكذا تتجلّى الفَذْلَكَة بوصفها أسلوبًا بلاغيًّا تُتوّج النصّ وتمنحه اكتماله، فهي ليست زينةً بلاغيّة فحسب، بل هي لحظة تركيز للمعنى، واختزال للغرض، وتأكيد على الحجّة، فضلاً عن كونها ملمحًا جماليًّا يُضفي على النصّ انسجامًا وتوازنًا، وفي تنظير عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي، تُفهم الفَذْلَكَة في سياق النّظم، أي: في علاقات المَعَانِي بالألفاظ، وتناغم الأجزاء في خدمة الكلّيّة النّصّيّة، ولذلك فإنّ الفَذْلَكَة تتجاوز كونها نهاية النصّ، لتكون محوره الدّلالي الأخير، ومجاله التّأثيري الأكبر، ومن خلال ما ذكرنا نحاول تتبّع أثر الفَذْلَكَة في توليد الإقناع، من خلال ما تخلقه من أثر ذهني يربط النّتائج بالمقدّمات، كما نرصد أبعادها الجماليّة من خلال التّماثل الصّوتي واللفظي، والتّناغم الإيقاعي، والاقتصاد الدّلالي، وذلك عبر تحليل نظري وتطبيقي لنماذج أدبيّة وقرآنيّة وشعريّة، تُظهر كيف تعمل الفَذْلَكَة في صميم النصّ لا في هامشه، وإنّ مَوضُوع (أثر الفَذْلَكَة في التّلقّي والفهم) مَوضُوع

دقيق ويجمع بين البلاغة والنّقد وعلم المَعْنَى(شادي، 2013: 29–33)، ويمكنك من خلاله أن تدمج النّظرة التّراثيّة مع أدوات التّحليل الحديثة.

المَبحثُ الثّاني: أثر الفَذْلَكَة في التّلقّي والفهم.

أهمّيّة التّلقّي في الخطاب الأدبي، وعلاقة البناء النّصّي بفهم المتلقّي، وأثر التّنظيم البلاغي في استيعاب المَعْنَى، فالفَذْلَكَة أداة لتوجيه الفهم، تسهم الفَذْلَكَة في تقديم خلاصة مركّزة للمعنى، ودورها يكمن في إعادة بناء المَعْنَى وتكثيفه في ذهن المتلقّي، ووظيفة الفَذْلَكَة تقوية الأثر المعنوي، وتحقيق الانسجام والإحكام في النّصّ ممّا يسهّل على المتلقّي إدراك المقاصد، فضلا عن دورها في ربط الأوائل بالأواخر، ممّا يعزّز الفهم الشّامل، والمساعدة عليه لما لها من أثر في الأسلوب والسّياق، فالفَذْلَكَة لها دور بارز في التّأثير على المتلقي، وفي بنية الخطاب الأدبي والبلاغي، تبرز الفَذْلَكَة كواحدة من الظّواهر اللغويّة الّتي تجمع بين الوظيفة الجماليّة والبيانيّة، فهي ليست تلخيص لما سبق فحسب، بل استراتيجيّة لغويّة تنطوي على مهارة في التّلخيص والرّبط، كما تُوجّه فهم المتلقّي وتؤطّر تجربته الجماليّة والفكريّة، وقد اهتمّ البلاغيّون بها، لا سيما عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي(جلال، 1984م: 64–69)، وبهذا المَفْهُوم في إطار نظريّته عن (النّظم)، تتبدى الفَذْلَكَة كأثر من آثار التّناسق والتّآلف بين أجزاء الكلام، وإنّ العلاقة بين الفَذْلَكَة والتّلقّي علاقة تفاعليّة معقّدة، إذ تُسهم في تمكين القارئ من فهم المَعْنَى الكلّيّ للنصّ، وتمنحه مفاتيح الدّخول إلى بنيته العميقة، كما أنّ لها وظيفة ترسيخ المَعَانِي، وجعلها أكثر وضوحاً أو أثراً، وقد تنقلب هذه الأداة إلى عنصر معيق إذا لم تُوظّف ضمن سياق لغوي واضح أو إذا مال النّصّ إلى الغموض المفرط، فمن هنا نتتبّع أثر الفَذْلَكَة في توجيه التّلقّي والفهم، من تحليل النّصوص ودراسة أثرها في بناء المَعْنَى عند المتلقّي، بالاستناد إلى مفاهيم بلاغيّة ونقديّة تراثيّة ومعاصرة.

الخَاتمةُ: في نهَايةِ المطَاف مَع هَذه الدّرَاسَة، تَوصّلنا إلى مَجمُوعَة من النّتائج:

1- إنّ عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي لم يكن مجرّد لغوي أو بلاغي، بل كان فيلسوف اللغة العربيّة الّذي أدرك أنّ سرّ البلاغة يكمن في النّظم، وفي السّياق، وفي العلاقة بين المَعَانِي والألفاظ، فقد وضع قواعد ما تزال حجر الأساس في علم البلاغة، وجعل من كتبه مرجعًا خالدًا لدارسٍ اللغة والبيان.

2- يُعدّ (دَلائِل الاعْجَاز) وثيقة فكريّة عظيمة، تكشف عن عبقريّة عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي، وعن منهج عقلي تحليلي سابق لعصره، فقد أعاد من خلاله تعريف البلاغة والنّظم والإعجاز، ووضع أُسُساً لفهم النّصوص بطريقة تتجاوز الشّكل إلى البنية والدّلالة، ولم يكن كتابه مجرّد بحث بلاغي، بل منهجًا لفهم النّصوص على أساس علمي عقلاني دقيق.

3- تُعدّ الفَذْلَكَة عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي مفتاحًا لفهم البلاغة القُرآنِية، وهي أحد الأعمدة الّتي

تقوم عليها نظريّة النّظم، فبفضلها يُبنى النّصّ البليغ كنسيج واحد لا تتفكّك أجزاؤه، وهي تُعبّر عن عمق في التّفكير اللغوي والبلاغي سبق به الجَرْجَانِي عصره، وقد كشفت لنا هذه الدّراسة أنّ الفَذْلَكَة ليست مجرّد تلخيص، بل هي فنّ التّأليف البلاغي الأعلى.

4- إنّ الفَذْلَكَة عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي ليست مجرّد تلخيص أو اختصار فحسب، بل هي آليّة فكريّة وأسلوب بلاغيّ تضمن تماسك النّص، وتكامل أجزائه، وإبراز المَعْنَى العام من خلال العلاقات الدّقيقة بين الجمل والتّراكيب، وقد استطاع الجَرْجَانِي أن يرسّخ هذا المَفْهُوم في صميم نظريّته في النّظم، ما يجعل (دَلائِل الاعْجَاز) مرجعًا أساسيًّا في فهم البناء البلاغي للنّصّ العربي.

5- الفَذْلَكَة كما تُفهم من (دَلائِل الاعْجَاز)، ليست طريقة في كتابة النّصوص فحسب، بل هي أداة تحليل بلاغي كاشفة، تُمكّن القارئ من فهم وحدة النّصّ وانسجامه الدّاخلي، ومن إدراك العلاقات المنطقيّة والدّلاليّة الّتي تربط أجزاءه، وهي بذلك تُمثّل أحد أعمدة التّحليل النّصيّ والبلاغيّ في الفكر العربي القديم، وتُعدّ سابقًا مُبكرًا للنّقد الأسلوبي الحديث.

6- يتّضح أنّ مَفْهُوم الفَذْلَكَة على الرّغم من غياب التّسمية يشكّل أحد أعمدة التّحليل البلاغي عند عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي، حيث تُستعمل لكشف التّماسك الدّاخلي للنّصّ، وبيان الغرض البلاغي العامّ، وتوجيه المَعَانِي، ويمكن عدّها مقدّمة مبكّرة لما يُعرف اليوم بتحليل الخطاب أو التّحليل النّصّي، ما يدلّ على عمق مشروع الجَرْجَانِي واستباقه للنّظريّات الحديثة.

7- يمكن القول إنّ الفَذْلَكَة في (دَلائِل الاعْجَاز) تمثّل إحدى أهمّ أدوات عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي في تحليل النّصّ، بل هي آليّة تحكم في فهم البنية النّصيّة الكاملة، وتكشف عن الرّوابط العميقة بين الألفاظ والمَعَانِي، وعبر الفَذْلَكَة استطاع الجَرْجَانِي أن يُقدّم قراءة بلاغيّة تحليليّة للنّصّ، تُرسي الأسس الأولى لما يُعرف اليوم بتحليل الخطاب والقراءة النّصيّة الحديثة.

8- من استعراض هذه الأمثلة، يتّضح أنّ عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي استعمل الفَذْلَكَة بصورة عميقة في (دَلائِل الاعْجَاز) لتوضيح كيفيّة عمل النّصّ القُرآنِي كوحدة متكاملة، ذات بنية متماسكة تتجاوز التّركيب الظّاهري إلى شبكة معقّدة من العلاقات البَلاغِيَّة، والفَذْلَكَة هنا لم تكن تلخيصًا بل كانت أداة تأويل وتحليل ساعدت الجَرْجَانِي في بناء نظريّة بلاغيّة متكاملة.

9- إنّ الفَذْلَكَة في بلاغة عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي أسلوب في الفهم والتّحليل، تُتيح للقارئ أن يُدرك كيف يُبنى المَعْنَى في النّصّ، وكيف تتفاعل الألفاظ والتّراكيب لإنتاج التّأثير، ولقد ساعدت هذه الأداة التّحليليّة في الكشف عن إعجاز القرآن كخطابٍ حيّ، متماسك، ومترابط في أجزائه، يُدهش العقل كما يُطرب الذّوق، وبهذا فإنّ الفَذْلَكَة تُعدّ من أقوى مفاتيح الجَرْجَانِي في تحليل المَعَانِي البَلاغِيَّة، وفي تأسيس قراءة تفاعليّة واعية للنّصّ القُرآنِي.

10- إنّ الأثر الجمالي والبلاغي للفَذْلَكَةِ في بلاغة عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي يتجاوز حدود الشّرح أو

التّفسير، ليدخل في عمق فهم الإبداع اللغوي والمعنوي في النّصّ، فمن خلال الفَذْلَكَة يُعيد الجَرْجَانِي تشكيل النّصّ في وعي المتلقّي، موضّحًا كيف تتكامل الألفاظ والمَعَانِي والتّراكيب في بنية موحّدة تُحدث أثرًا جماليًّا خالصًا، وتكشف عن بلاغة الإعجاز في اللغة، وبهذا تكون الفَذْلَكَة أداة مركزيّة في قراءة النّصوص، وفي إدراك توازنها وجمالها وبلاغتها في آن واحد.

المَصادرُ:

1- أبو موسى، د. محمد محمد **(1998)**. ***مَدخَلٌ إلى كِتَابي عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي***. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة.

2- بختي، زهير **(2019)**. ***نَظَريةُ النَّظم قِرَاءة فِي مشرُوع عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي***. الاردن: عالم الكتب الحديث للنشر.

3- بدوي، د. أحمد(2013). ***عَبْدالقَاهِر الجَرْجَانِي وَجُهُودُه في البَلاغَةِ العَربيّة***. القاهرة: مكتبة مصر.

4- الجَرْجَانِي، أبوبكر عَبْدالقَاهِر بن عبدالرحمن (ت:471هـ) (1992). ***دَلائِل الاعْجَاز فِي عِلْمِ المَعَانِي***. (تح: محمود محمد شاكر أبو فهر). ط3. القاهرة- جدّة: مطبعة المدني – دار المدني.

5- جلال، محمد (1984). ***سِمَاتُ البلاغَة عندَ عَبْدالقَاهِر الجَرْجَانِي***. بيروت: مطبعة الأمانة للنشر.

6- حسين، عبد القادر(2012). ***دِرَاسَةٌ فِي بَلاغةِ عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي (النَّظم)***. القاهرة: دار غريب للنشر.

7- زهران، د. البدراوي (1987).***عَالمُ اللغَة عَبْد القَاهِر الجَرْجَانِي***. بيروت: دار المعارف.

8- شادي، د. محمد إبراهيم (2013). ***شَرحُ دَلائِل الاعْجَاز***. ط2. مصر: دار اليقين للنشر.

9- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله (ت:743هـ) (2013). ***فُتُوح الغَيب فِي الكَشْفِ عَن قِنَاعِ الرّيب***. (تح: إياد محمد الغوج). ط1.

10- عبدالرزاق، محمد (2002). ***عَبْدالقَاهِر الجَرْجَانِي فِي النّقدِ العَربيّ الحَدِيْث***. بيروت: المؤسسة العربية للنشر.

11- عبدالمطلب، د.محمد (1995). ***قَضَايا الحَدَاثَة عِندَ عَبْدالقَاهِر الجَرْجَانِي***. لبنان: مكتبة ناشرون.

12- علي، أحمد (2000). ***الصّورةُ البَلاغِيَّة عندَ عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي.*** مصر: دار مصر للنشر.

13- غريب، د. عبد العاطي (1993م). ***البَلاغةُ العَربيّةُ بين النّاقدين الخَالدين عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي وابن سنان الخَفَاجي.*** بيروت: دار الجيل.

14- الفيروز آبادى، مجدالدّين محمد بن يعقوب (ت:817هـ) (2005). ***القَامُوسُ المُحِيط.*** (تح: مكتب تحقيق التّراث في مؤسسة الرسالة). ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

15- محمد، وليد(1983). ***نَظَريّةُ النّظْم وَقيمتَها العلميّة عندَ عَبْدالقَاهِر الجُرْجَانِي.*** ط1. سوريا: دار الفكر.

16- مطلوب، د.أحمد (1973). ***عَبْدالقَاهِر الجُرْجَانِي بَلاغتُه وَنقدُه.*** ط1. بيروت: وكالة المطبوعات للنشر.

17- نورالدين، علاء(2007). ***عَبْدالقَاهِر الجُرْجَانِي في قِراءَاتِ البَلاغِيين المُحْدَثين.*** مصر: منشأة المعارف للنشر.

رسائل جامعية:

1- حامدة، ثقبايث (2012). ***قَضَايا التّداوليّة فِي كِتَابِ دَلائِل الاعْجَاز لعَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي.*** رسالة ماجستير. الجزائر: كلية الآداب واللغات- جامعة مولود معمري.

2- حمراني، د.عبدالقادر (2017). ***الفِكرُ الأسلُوبي لَدى عَبْد القَاهِر الجُرْجَانِي.*** المجلة جسور المعرفة. ع10. الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي.

3- صالح، معالي (2021). ***الفَذْلَكَة في البَيانِ القُرآنِي.*** رسالة ماجستير. جامعة تكريت: كلية الآداب.

4- عبدالكريم، إلهام(2023). ***الفَذْلَكَة عندَ ابْن عَاشُور في تَفْسيرِهِ التَّحرير وَالتّنوير دِرَاسةٌ دُلاليّة.*** رسالة ماجستير. جامعة الموصل: كلية التربية للبنات.

(Sources)

1. **Abu Musa, Muhammad Muhammad** (1998). *Madkhal ila Kitabay 'Abd al-Qahir al-Jurjani*. 1st ed. Cairo: Maktabat Wahbah.
2. **Bakhti, Zuhair** (2019). *Nazariyat al-Nazm: Qira'ah fi Mashru' 'Abd al-Qahir al-Jurjani*. Jordan: 'Alam al-Kutub al-Hadith.

3. **Badawi, Ahmad** (2013). *'Abd al-Qahir al-Jurjani wa-Juhuduhu fi al-Balaghah al-'Arabiyah*. Cairo: Maktabat Misr.
4. **Al-Jurjani, Abu Bakr 'Abd al-Qahir ibn 'Abd al-Rahman** (1992). *Dala'il al-I'jaz fi 'Ilm al-Ma'ani*. (Ed. Mahmoud Muhammad Shakir). 3rd ed. Cairo-Jeddah: Matba'at al-Madani.
5. **Jalal, Muhammad** (1984). *Simat al-Balaghah 'inda 'Abd al-Qahir al-Jurjani*. Beirut: Matba'at al-Amanah.
6. **Hussein, 'Abd al-Qadir** (2012). *Dirasah fi Balaghat 'Abd al-Qahir al-Jurjani (Al-Nazm)*. Cairo: Dar Gharib.
7. **Zahran, Al-Badrawi** (1987). *'Alim al-Lughah 'Abd al-Qahir al-Jurjani*. Beirut: Dar al-Ma'arif.
8. **Shadi, Muhammad Ibrahim** (2013). *Sharh Dala'il al-I'jaz*. 2nd ed. Egypt: Dar al-Yaqin.
9. **Al-Tibi, Sharaf al-Din al-Hussein** (2013). *Futuh al-Ghayb fi al-Kashf 'an Qina' al-Rayb*. (Ed. Iyad Muhammad al-Ghawj). 1st ed.
10. **'Abd al-Razzaq, Muhammad** (2002). *'Abd al-Qahir al-Jurjani fi al-Naqd al-'Arabi al-Hadith*. Beirut: Al-Mu'assasah al-'Arabiyah.
11. **'Abd al-Muttalib, Muhammad** (1995). *Qadaya al-Hadathah 'inda 'Abd al-Qahir al-Jurjani*. Lebanon: Maktabat Nashirun.
12. **'Ali, Ahmad** (2000). *Al-Surah al-Balaghiyah 'inda 'Abd al-Qahir al-Jurjani*. Egypt: Dar Misr.
13. **Gharib, 'Abd al-'Ati** (1993). *Al-Balaghah al-'Arabiyah bayna al-Naqidayn al-Khalidayn 'Abd al-Qahir al-Jurjani wa-Ibn Sinan al-Khafaji*. Beirut: Dar al-Jil.
14. **Al-Fairuzabadi, Majd al-Din** (2005). *Al-Qamus al-Muhit*. 8th ed. Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
15. **Muhammad, Walid** (1983). *Nazariyat al-Nazm wa-Qimatuha al-'Ilmiyah 'inda 'Abd al-Qahir al-Jurjani*. 1st ed. Syria: Dar al-Fikr.
16. **Matlub, Ahmad** (1973). *'Abd al-Qahir al-Jurjani Balaghatuhu wa-Naqduhu*. 1st ed. Beirut: Wakalat al-Matbu'at.
17. **Nur al-Din, 'Ala'** (2007). *'Abd al-Qahir al-Jurjani fi Qira'at al-Balaghiyin al-Muhdathin*. Egypt: Munsha'at al-Ma'arif.

(University Theses & Dissertations)

1. **Hamidah, Thaqbayth** (2012). *Qadaya al-Tadawuliyah fi Kitab Dala'il al-I'jaz li-'Abd al-Qahir al-Jurjani*. (Master's Thesis). Algeria: Mouloud Mammeri University, College of Arts and Languages.
2. **Hamrani, 'Abd al-Qadir** (2017). "Al-Fikr al-Uslubi lada 'Abd al-Qahir al-Jurjani". *Jusur al-Ma'rifah Journal*, Issue 10. Algeria: Hassiba Ben Bouali University.
3. **Salih, Ma'ali** (2021). *Al-Fadhlakah fi al-Bayan al-Qur'ani*. (Master's Thesis). Tikrit University: College of Arts.
4. **'Abd al-Karim, Ilham** (2023). *Al-Fadhlakah 'inda Ibn 'Ashur fi Tafsirihi Al-Tahrir wa-al-Tanwir: Dirasah Dalaliyah*. (Master's Thesis). University of Mosul: College of Education for Girls.